الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة البحوث والدراسات

عالم الذر

باسم الحلّي



عالم الذّر

هل كان الإنسان مخلوقاً قبل الدنيا؟!

باسم الحلّي

شعبة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: عالم الذّر هل كان الإنسان مخلوقاً قبل الدنيا.

المؤلف: باسم الحلي.

عدد النسخ: ١٠٠٠

المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر.

سنة الطبع: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ.

الإخراج الفني: الشيخ باسم العلي.

من إصدارات شعبة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآل محمد، الميامين الطيبين، المعصومين الطاهرين، المطهرين من الرجس تطهيراً..

اختلف علماء الفريقين - سنّة وشيعة - في إثبات عالم الذر؛ أي إثبات وجود الأرواح الناطقة قبل أجسادها الدنيويّة، في عالم قبل عالم الدنيا الذي نعيشه الآن..، أطلق المثبتون على هذا العالم: عالم الذر؛ استناداً إلى ما تواتر في مصادر السنّة والشيعة، من أنّ الله تعالى أخرج ذريّة آدم عليه السلام قبل خلق الدنيا بألفي عام، فكلّمهم وكلّموه، بل في بعض الأخبار الصحيحة عند السنّة والشيعة، أنّ الله تعالى عاينهم، وعاينوه في آثار صنعه، وعظمة نوره ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]..

فلقد اختلف أهل السنّة فيما بينهم، بين مثبتٍ ونافٍ لعالم الذر، والأمر هو الأمر عند علماء الشيعة (رضوان الله عليهم)، لكن المشهور والأكثر على إثباته، وهناك من أنكره؛ متأوّلاً الآية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، وما تواتر من الرواية على المجاز لا الحقيقة..

والغرض من الخوض في مثل هذا الموضوع، فيما يقول المثبتون، سيما أهل الحكمة، أنّ هناك إشكاليات في العقيدة، عويصة ومزمنة، لا يمكن التملّص منها، ولا مخرج لها إلاّ القول بعالم الذر..

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع به إخوتنا المؤمنين، وأن يجعله ذخراً لنا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

تنبيهان ضروريّان!!

التنبيه الأوّل:

لما كان غرضنا هو الاستدلال والاحتجاج، سردنا الأحاديث بأسانيدها المتصلة المرفوعة، بل قد أدرجنا في أصل الأحاديث ترجمة الرواة ودرجاتهم في الجرح والتعديل بين قوسين، بهذه الصورة ..؛ فعلى سبيل المثال ..

قال الإمام ابن سعد: حدثنا علي بن محمد (الإمام الثقة الكبير المدائني) قال حدثنا ... .

فهذا الذي ارتكبناه بين القوسين، إنْ وجد مثله في هذا الكتاب بل في عامّة كتبنا، هو منّا تسهيلاً للباحثين والمحققين، ومصادره في الجملة هي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها من مصادر الرجال السنّية المتسالم عليها. والأمر هو الأمر فيما لو تعاطينا ذلك في أسانيد أخبارنا الشيعيّة إذا ما رأينا ضرورة..

كما ننبّه أيضاً أنّ أهل السنّة هداهم الله تعالى يرمزون لما احتج به البخاري بحرف: (خ)، والإمام مسلم بحرف: (م)، ولكون ما احتج به كلاهما، هو أعلى مراتب الصحيح عندهم، تابعناهم في هذا، لنذكره بين الهلالين للفائدة.

التنبيه الثاني:

وما يلزم التنبيه عليه أيضاً أن تصحيح وتضعيف الأسانيد يدور مدار تعديل الرواة وتجريحهم، ولا يخفى أنّ الأنظار في هذا متفاوتة عند علماء النقد والمصطلح، حسب ما يعتبرونه من الأدلة والقرائن، ولطالما اختلفوا فيما هو معتبر منها وما هو ليس بمعتبر (رضوان الله تعالى عليهم)..

ولما كان للعبد الآثم الصغير نظر فيما يجب قبوله من القرائن وما لا يجب، فما يجده القارئ الكريم في هذا الكتاب وبقيّة كتبنا فإنّما هو ما رجح عندي ممّا هو حجّة بيني وبين ربيّ ..

فمن ذلك أبني على تصحيح كلّ ما يصحّ عن أصحاب الإجماع إذا عنعنوا إلى المعصوم عليه السلام، وعلى حسن وربما وثاقة كلّ من يروي عنه مباشرة أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وأحمد بن أبي نصر البزنطي، وابن أبي عمير، والنجاشي، والحسن بن محبوب، وابن قولويه، وعليّ بن إبراهيم رضوان الله عليهم ..

ومن ذلك أنّ كلّ رواة ابن قولويه في الكامل، وعليّ بن إبراهيم في تفسيره هم ثقات عندي، بشرطين لا يتسنى التفصيل فيهما الآن ..

كما أبني على قوّة، بل حسن حال، وربما توثيق من يترضى عنه الصدوق، وكذا مشايخ الإجازة المعروفين المعتمدين الذين ترجم لهم الطوسي والنجاشي من دون توثيق، ومن هذا القسم من روى عنه الأجلاء فأكثروا، شرط إلاّ يرد فيمن ذكرنا من النوعين أيّ طعن ..

وعندي أيضاً أنّ كلّ إسناد في الكتب الأربعة، بل في عامة الأصول الأربعمائة، وقع فيه راوٍ إمامي مجهول الحال، لم يرد فيه أيّ طعن، لا ينزل عن مرتبة القويّ، وكذا وكلاء الأئمّة عليهم السلام بالشرط أعلاه.

والقوي هي: المرتبة المشككة بين الحسن والضعيف كما لا يخفى على أهل الفنّ. وغير ذلك مما لا يسعنا الآن.

وقبل الخوض ثمّة أمور لازمة لا بدّ من سردها..؛ كالآتي..

ترتيب العوالم وعددها؟!.

العالم الأوّل: عالم الأحدّية.

وهو: عالم كان الله في الأزل ولم يكن معه شيء؛ أي قبل أن يخلق الله سبحانه وتعالى الخلق..؛ سبحان من كان متفرداً بعظمة جلاله وجماله وكماله، لا إله إلاّ هو.

يدل عليه في النصوص الكثيرة ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر قال سمعته يقول عليه السلام: «كان الله عز وجل، ولا شيء غيره...»[1].

العالم الثاني: عالم الأرواح.

شاء الله، بفضله ورحمته ومنته ولطفه، ولا رادّ لمشيئته، أن يخلق الخلق أجمعين، أرواحاً مجرّدة عن قالب الأبدان، وعقولاً منزّهة عن خسّة الأجساد، ففطرها كلّها دون استثناء، على توحيده، ومعرفته وعبادته؛ إذ قد كان كنزاً مخفياً فخلق الخلق لكي يُعرف، تعالت عظمته وقدرته.

يدلّ عليه في النصوص الكثيرة ما رواه الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مع أصحابه، فسلم عليه، ثمّ قال له: أنا والله أحبك وأتولاك!!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كذبت».

قال الرجل: بلى والله إنّي أحبّك وأتولاك، فكرّرَ ثلاثاً.

---

(١) الكافي ١: ١٠٧، رقم: ٢. باب صفات الذات.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كذبتَ، ما أنت كما قلت؛ إنّ اللهَ خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام...»(١).

قلت: وإسناده صحيح، على الأقل فهو من رواية ابن محبوب الذي أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه.

العالم الثالث: عالم الأشباح = عالم الذر.

ويسمّى عالم المثال، وهو عالم الذر؛ وفيه ركّبَ الله تعالى لجلّ تلكم الأرواح أو النفوس، وهما – في الجملة – مترادفان، أبداناً مثاليّة، من طين مثالي؛ نظير صورة الشخص في المرآة، لا وزن له ولا أبعاد حسب قوانين عالم الدنيا العاجزة عن ذلك.

يدلّ عليه الأخبار المتواترة من طرق الفريقين سنة وشيعة؛ وجل الأخبار التي سردناها في هذا الكتاب، هي في هذا الخصوص.

العالم الرابع: عالم الدنيا.

ويسمّى عالم الأجساد، أو عالم الفساد فيما قال ابن سينا، أو عالم الفقدان فيما قال صدر المتألهين أو غيره، أو عالم الهلاك والفناء فيما قال القرآن الكريم فيما لا يحصى من الآيات البينات.

العالم الخامس: عالم البرزخ.

وهو عالم ما بعد الموت، قبل فناء عالم الدنيا. ولقد قال جماعات من أهل الحكمة وغيرهم إنّ للإنسان في هذا العالم بدن مثالي كعالم الأشباح، وهو الأشبه الأقرب، وبعض ما استأنسوا به لذلك، رؤية الموتى حال النوم بأبدان.

---

(١) الكافي ٤: ١٨٦، رقم:٣. باب الحجر وعلة استلامه.

ممّا يدل على ذلك ما رواه الكليني عن محمد، عن أحمد، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش؟!. فقال عليه السلام: «لا، إذ ما هي في حواصل طير».

قلت: فأين هي؟!. قال عليه السلام: «في روضة، كهيئة الأجساد، في الجنة»[١].

قلت: إسناده موثق صحيح.

العالم السادس: عالم الآخرة.

عالم ما بعد الموت، بعد فناء الدنيا برمتها، وهو عالم الحشر والحساب، وللإنسان في هذا العالم جسد كجسده الدنيوي، لكنّه مثالي[٢]؛ أي لا يعرض عليه الفناء والهلاك..؛ قال سبحانه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[٣] وغير ذلك ممّا هو معلوم ضرورة.

العالم السابع: عالم الجنة والنار.

وهو عالم ما بعد الحشر والحساب، حيث أهل الجنة في الجنة يتنعّمون، وأهل النّار في النّار معذّبون.

ولا تحصى أخبار الفريقين سنة وشيعة في بيان تفاصيل هذا العالم، ناهيك عن آيات الكتاب الكريم الواردة في ذلك.

---

(١) الكافي (ت: غفاري) ٣: ٢٤٥، رقم: ٧. باب آخر في أرواح المؤمنين. مطبعة حيدري، طهران.

(٢) ننبه أنّ للمعاد المثالي معنيين: أحدهما يقابل المعاد الجسماني، والثاني لا ينافيه، ونحن – بشهادة الآية أعلاه – نقصد الثاني، كما سيتفصل في رسالتنا القادمة تداخل العوالم.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

العالم الثامن: عالم الرضوان.

وهو عالم أشرف من عالم الجنّة بما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، ولقد ورد في الكتاب الكريم: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[1].

وعالم الرضوان بإيجاز هو: عالم الابتهاج بكنوز الله الخفيّة، وأنوار قدسه البهيّة، وأسرار ذاته العليّة...، ونشير فقط إلى أنّ كلّ الجنّة وما فيها من نعيم، لا يعدل إلاّ كقطرة ماء في بحار هذا العالم اللامتناهي، بل لا قياس، ولا مجال للبسط.

العالم التاسع: عالم قاب قوسين.

لم يصل إليه، ولم يرق لعلوّه، ولم يسمو لسموّه، إلاّ سيدنا سيد الخلق أجمعين، محمّد إمام الأنبياء والمرسلين والبشر أجمعين، وبقيّة العالمين؛ ولقد قال سبحانه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

ما هذا المقام وما هي آثاره؟!

لا يسعنا البسط لكن ننبّه أنّ ما يقال فيه، يجب أن يكون متجذّراً على مجموع ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام وقواعد العقل القطعيّة، وإلاّ فليس بشيء كما لا يخفى.

وللتقريب فهذا المقام مطوي في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وهو بمقتضى إطلاق: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ والإطلاق حجّة، وبضميمة أنّ الله تعالى أوجد محمداً صلى الله عليه وآله نبياً وآدم بين الماء والطين ..

(١) سورة التوبة : ٧٢.

ينتج أنّ نبيّنا (صلوات الله عليه) رحمةً لكلّ العوالم الثمانية المخلوقة أعلاه، سببٌ لإيجادها بإذن الله تعالى..؛ فهذا بعض آثار هذا المقام.

العالم العاشر: عالم الغيب.

وهو عالم الكمال المطلق، لا يعلمه إلاّ الله، سبحان من تفرّد به؛ قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾.

وننبّه لزوماً أنّ إنهائنا العوالم إلى عشرة، ليس حصراً عقلياً كما أنّه ليس شرعياً؛ إذ لم يرد نص شرعيّ أنّ العوالم عشرة، وإنّما هو ما رجح في نظرنا القاصر خلال مجموع أخبار أهل البيت عليهم السلام علاوة على كتاب الله الكريم ..

الفرق بين الأرواح والأشباح والأجساد؟!

وثمّة عوالم أخرى غير ما ذكرنا آنفاً، سردها أهل الحكمة والمعرفة، بعضها متضمّنٌ في التسلسل الآنف، غير خارجة عنه، لا مجال للبسط فيها هيهنا، في هذا المختصر..

وأيّاً كان فما ينبغي التأكيد عليه هو أنّ غير واحد من علماء السنة والشيعة المثبتين لعالم الذر، سيما أهل المعرفة والحكمة، ذكروا أنّ هناك عالمين متعلقين بالخلق الإنساني قبل خلق الدنيا، أو هما واحد في مرحلتين..

العالم الأول: عالم الأرواح المجردة، أو النفوس الناطقة، وهي كما ذكرنا ذوات عالمة منزهة عن البدن، متحررة عن زنزانة القالب، فطرها الله تعالى كلّها فرداً فرداً، أو نوعاً نوعاً، على معرفته وتوحيده.

وننبه أنّ مقولة الأرواح المجرّدة وإن كانت مغايرة لمقولة النفوس باعتبار ما، إلاّ أنّهما مترادفان باعتبار وجودهما قبل خلق الدنيا أولاً، وتجرّد كل منهما عن البدن والجسد ذاتاً ثانياً، وأنّهما مفطوران على المعرفة ثالثاً، فتذكّر هذا.

إذ الأرواح هي: عقول متجردة عن البدن والجسد ذاتاً وفعلاً.

أمّا النفوس: فهي متجرّدة عن البدن والجسد ذاتاً لا فعلاً.

ولا يسمح المقام، ولا غرض وريقاتنا المتواضعة بالتفصيل في هذا.

العالم الثاني: عالم الأشباح؛ أي عالم الأرواح أو النفوس بعد عروض البدن عليها، والأشباح هي التي خوطبت بقوله تعالى: ﴿ألست بربكم فقالوا بلى﴾، فعالم الذر هو عالم أشباح تلى عالم الأرواح في الوجود فيما بيّنا ونبيّن.

والأشباح هيهنا: هي الأرواح المتشخصة بأبدانٍ مثاليّة؛ إذ معنى الشبح لغةً: هو القالب الجسماني للشخص مع بعض الخفاء في الوزن والأبعاد و...، نظير الظل، وصورة الشخص في المرآة وأمثال ذلك؛ فإن لم يكن به خفاء سمي جسداً، وسيأتي بعض البسط لاحقاً.

وقد يعبّر عنه أهل الحكمة بأنّه: خلق مقداري؛ ليس له لطافة المجرّدات، ولا كثافة الماديات؛ بل بين بين.

أمّا الأجساد: فهي الأبدان لكن دون خفاء، وهي الدنيوية الفانيّة.

وقولنا في الأجساد: دون خفاء؛ لعدم خفاء الوزن والأبعاد فيها، كما هو حال الأشباح..

ومستندهم في هذا التقسيم مجموع النصوص الصحيحة الكثيرة أو ما أدت إليه، وسنعرض لها، سيما أحاديث الظلال الواردة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم).

معنى عالم الذر لغةً اصطلاحاً

الذر في اللغة:

الذر – حسب الاشتقاق الكبير – ما صغر إلى حدّ الخفاء، ومن ذلك: الذرّة؛ أي أصغر جزء في الأشياء، ولا يكاد هذا الجزء يرى، أو لا يرى.

ولذلك مصاديق – حسب الاشتقاق الصغير – فيطلق الذر على صغار النمل، باعتبار كثرتها وصغرها وخفائها أن ترى بالعين. كما يطلق الذر على ذرات الغبار المتطاير؛ لصغره وخفائه وكثرته؛ إذ لا يرى إلاّ إذا تسلّط عليه شعاع الشمس كما هو معلوم بالوجدان.

وإنّما سُمّي عالم الذر بذلك؛ لخفاء أهله باعتبار شبحيتهم وصغرهم وكثرتهم؛ فهذا هو وجه المناسبة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

المعنى الاصطلاحي لعالم الذر

هو عالم الأشباح التي فطرها الله تعالى على معرفته وتوحيده، قبل خلق الدنيا، ثمّ أخذ عليها الإقرار بذلك.

وهو ما تضمّنه مجموع قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[1]

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

ففي مجموع هاتين الآيتين - كما هو المشتهر بين علماء السنّة والشيعة - ظهور أنّ الله تعالى، قبل خلق الدنيا، كان قد خلق بني آدم خلقاً مجرّداً منزهاً عن زنزانة الأبدان والأجساد ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أشباحاً بأبدان المثال؛ كالذر..

وقد كان هذا قبل الأمر بالسجود لآدم كما هو نص الآية، ففي عالم الذر قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾ وأكثر من ذلك خاطبهم وخاطبوه، سألهم فأجابوه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ وهذا غير متصوّر في معدوم أو مقدر الوجود، بل مخلوق محقق الوجود..، وفي هذا ردّ على من أنكر عالم الذر، من القائلين بأنّ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ مجاز وليس حقيقة..

---

(١) سورة الأعراف: ١١.

ثمرات إثبات عالم الذر؟!.

الأولى: فطر الله تعالى أرواح كلّ بني آدم في ذلك العالم فرداً فرداً، على الإسلام؛ أي على معرفة الخالق وتوحيده وعبادته، وقد كان هذا قبل خلق الدنيا والتراب، بل حتّى قبل عالم الذر والأشباح، وقد تواترت نصوص الفريقين في هذا؛ وفيه دفع لشبهة الظلم في فعل الله تعالى.

الثانية: دفع شبهة الجبر المطويّة في حديث النبي: «الشقي شقي في بطن أمّه والسعيد سعيد في بطن أمّه»، فإثبات عالم الذر يرفع توهم حصول الشقاوة والسعادة في بطون الأمهات؛ لكونهما ممّا تعلقا بالأشباح في عالم الذر قبل خلق الدنيا والأجساد بآلاف السنين.

الثالثة: لم يصنفهم الله تعالى في عالم الذر، ومن ثَمّ في بطون الأمهات، إلى شقي وسعيد، إلاّ بعد أن امتحنهم هناك في عالم الذر؛ فلقد أمرهم بدخول النّار، فأطاع من أطاع وعصى من عصى، كما سيتفصّل.

وهناك ثمرات عظيمة غيرها، وقد ارتأينا أن يكون البحث مقارناً بين الفريقين، سنة وشيعة، في فصلين..

الفصل الأول: ما رواه أهل السنة في عالم الذر.

الفصل الثاني: ما رواه الشيعة في عالم الذر.

وسنعالج مرويات كلّ فريق حسب قواعده في النظر، وأصوله في الفكر؛ دفعاً للمصادرات، ونشير إلى أنّ مشهور أهل السنّة يوافقنا في هذا.

المنكرون لعالم الذر من الفريقين سنة وشيعة

ذكرنا اختلاف علماء أهل السنة في إثبات عالم الذر ونفيه؛ فالأكثر أثبته؛ أي أثبت خلق الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنّها خوطبت بالميثاق: ﴿ألست بربكم... قالوا بلى﴾ خطاباً حقيقياً، وبه جزم غير واحد من كبار أئمتهم، منهم: الأئمة محمد بن نصر المروزي، وأبو محمد ابن حزم، والإمام إسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والبغوي، والغزالي...، بل عامّة أهل السنة على هذا فيما نعلم، إلاّ قليل، ومستندهم في إثباته الأخبار الكثيرة جدّاً، وهناك من قد صرّح أنّها متواترة في هذا أو كادت..

وأبرز من خالف من أهل السنّة فيما نعلم، نافياً عالم الذر، منكراً وجود الأرواح قبل الأجساد، الإمام ابن القيم الجوزيّة (٧٥١هـ) فلقد تأوّل الأخبار الواردة فيه قال:

"فالآثار المذكورة إنّما تدل على أنّه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم، وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة، وأمّا مخاطبتهم واستنطاقهم، وإقرارهم له بالربوبية، وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية، فمن قاله من السلف، فإنّما هو بناء منه على فهم الآية، والآية لم تدل على هذا، بل دلّت على خلافه" (١).

قلت: ستأتي النصوص الصريحة الكثيرة عن جمع من الصحابة في عكس ما قال تماماً، ناهيك عن صراحة الآية: ﴿قالوا بلى﴾.

كما قد اختلف علماء الشيعة الإماميّة في إثبات عالم الذر ونفيه، ولعلّ المشهور المشتهر بينهم إثباته، كما هو ظاهر حال الشيخ الصدوق ﵀ وغيره، وخالف المفيد

---

(١) الروح لابن القيّم الجوزيّة: ١٧٢. دار الكتب العلمية، بيروت.

والمرتضى (رضوان الله عليهما) فنفيا عالم الذر، أي نفيا أنّ الأرواح قد خوطبت خطاباً حقيقياً قبل خلق الدنيا، وإنّما هو خطاب مجازي فيما قالا..

وردّ محققوا أصحابنا على هذا - كما سيأتي في الفصل الثاني - بما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام صريحاً واضحاً، بما لا يحتمل التأويل ولا التقدير.

سبب إنكارهم عالم الذر؟!!

إنّما أنكروه لشبهة التناسخ!!. ولا أدري ما دخل التناسخ الباطل فيما نحن فيه؛ إذ ليس عندنا إلاّ أنّ لكلّ روح بدناً خاصاً بها، كما أنّ لكلّ نفسٍ جسداً يدور مدارها؛ ابتداءً من عالم الأشباح حتّى يوم القيامة؟!.

التناسخ الباطل

التناسخ الباطل في الشرائع: هو إنكار الجزاء في الحياة الآخرة، وإنّما يحصل الجزاء في هذه الحياة الدنيا؛ فحينما يموت المرء تنتقل روحه، في نفس هذه الدنيا، إلى جسد مخلوق آخر، يلائمها خبثاً أو طيباً؛ فقد تنتقل إلى جسد شجرة، أو كلب، أو وردة، أو إنسان، حسب درجة الخبث والطيب.

كذا قال أهل التناسخ الباطل، ولا علاقة له بعالم الذر إطلاقاً.

هل الاعتقاد بعالم الذر واجب على المكلّفين؟!؟

ليست عقيدة الذر من ضروريات الدين، ولا هي ممّا يجب اعتقاده على المكلفين؛ كالاعتقاد بالجنة والنار والسراط والكوثر وعذاب القبر و...، ممّا يستلزم جحده كفراً أو ردّة.

وإنّما هي أو هو عقيدة اجتهاديّة، لا يجب على المكلف اعتقادها، ومنكرها من علماء الفريقين سنة وشيعة، بما تعاطاه من تأويل، لا شيء عليه إجماعاً وقولاً واحداً..

ولعلك تقول: الأخبار في عالم الذر متواترة، ومنكر المتواتر رادٌ على الله ورسوله؟!!

قلنا: على فرض تواتر أخبار عالم الذر، وهي كذلك على التحقيق فيما سنرى، لم ينكر أحد من علماء الفريقين صدورها؛ بل تأولوها بما اعتقدوه سائغاً، فلا إشكال.

هل الأرواح قديمة أم حادثة؟!؟!

قلت: علم ضرورة في الأديان، أنّ الله تعالى كان ولم يكن معه شيء، وإلاّ لزم القول بالشريك، أضف إليه أنّ مجموع الأخبار السنيّة والشيعيّة متواترة معنى في ذلك..، فلا سبيل!!

ما رواه الشيعة أنار الله برهانهم

فمن طرقنا – على سبيل المثال لا الحصر – ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر قال سمعته يقول عليه السلام: «كان الله عز وجل، ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه، كعلمه به بعد كونه»(١).

قلت: إسناده في أعلى درجات الصحّة، والطرق متواترة في هذا.

(١) الكافي ١: ١٠٧، رقم: ٢. باب صفات الذات.

ما رواه أهل السنة هداهم الله

ومن طرق أهل السنّة ما أخرجه البخاري، قال: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، أنّه حدّثه عن عمران بن حصين، قال: قال النبي: «كان الله ولم يكن شيء غيره»[١].

قلت: الأخبار كثيرة جداً في هذا المعنى، تورث العلم واليقين.

أجساد الأنبياء الدنيويّة، أبدان مثاليّة

تسالم السنّة والشيعة على هذا؛ فممّا رواه أهل السنّة؛ ما أخرجه أحمد بن حنبل بإسناده عن أوس الصحابي قال: قال رسول الله: «إنّ الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»[٢].

قلت: إسناده حسن صحيح بإجماع أهل السنة.

وقال التقي المجلسي- في الروضة: وروى الشيخ الصدوق محمد بن الحسن الصفار في الصحيح، والصدوق الكليني في القوي كالصحيح عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: «إنّ الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين، قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وخلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفار من طينة سجين...»[٣].

والأخبار في هذا لفظاً أو معنى، متواترة، لا يسعها مقامنا.

---

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٤: ١٠٥، رقم: ٣١٩١. دار طوق النجاة.
(٢) مسند أحمد (ت: شعيب الأرنؤوط) ٢٦: ٨٤، رقم: ١٦١٦٢. الرسالة، بيروت.
(٣) روضة المتقين ١٣: ٢٢٢.

وجه تشبيه الأشباح بالذر؟!

نعيد للتأكيد، أنّ الشبح هو ما تشخص ببدن مثاليّ مع خفاء؛ نظير الظلال وصور الأشياء في المرآة فيما يقول أهل المعقول والحكمة، وهي باعتبار من الاعتبارات خفيّة؛ إذ لا يعلم لها وزن متعارف ولا مادة متعارفة، لكنّها موجودة بيقين..

وقد ورد في بعض الأخبار أنّها شيء وليست بشيء..؛ والمعنى أنّ لها وجوداً حقيقياً تعجز عنه قوانين الدنيا.

وبعبارة أوضح، هي شيءٌ بالنظر لقوانين العوالم الأخرى كعالم البرزخ مثلاً، وأمّا أنّها ليست بشيء؛ فلكونها حسب قوانين عالم الدنيا هي كذلك، وأياً كان فما لا يمكن إنكاره هو أنّها متشخصةً في الوجود ليست عدماً، وإن عجزت قوانين هذا العالم عن حقيقته؛ لخفائه.

هذه هي مناسبة تشبيه أشباح بني آدم يوم الميثاق بالذر؛ إذ هو مشتق من الذرة، وهي أصغر جزء في الأشياء، وهو خافٍ لا يرى أو لا يكاد يرى والأشباح لما فيها من خفاء هي كذلك..

فالذر سواء كان صغار النمل، أو جزئيات الغبار المتطاير، فكلاهما كما جزم أئمة اللغة لا يكاد يرى، أو خافٍ لا يرى إلاّ إذا تسلّط عليه بعض الضوء..

الفصل الأول
عالم الذر
في مرويات أهل السنّة

من أقوال أهل السنّة في إثبات عالم الذر

الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، يثبت عالم الذر

قال في كتابه الإبانة: ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وجاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الله عز وجل مسح ظهر آدم، فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر، ثمّ قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم» لأنّه قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فجعل تقريرهم بوحدانيته، لماّ أخرجهم من ظهر آدم صلى الله عليه وسلم، حجّة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول، ثمّ من بعد الإقرار جحدوه [1].

(١) الإبانة في صول الديانة (ت: فوقيّة محمود): ٢٣٥. دار الأنصار، القاهرة.

حكاية ابن حزم الإجماع (٤٥٦هـ) على هذا!!.

قال ابن حزم الأندلسي في كتابه الفصل: الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ فصحّ أنّ الله عز وجل خلق الأرواح جملة؛ وهي: الأنفس، وكذلك أخبر ﷺ أنّ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

قال ابن حزم: وهي (الأرواح) العاقلة الحساسة، وأخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام، وقبل أنْ يدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذ تراب وماء، ثمّ أقرّها تعالى حيث شاء؛ لأن الله تعالى ذكر ذلك بلفظة: ﴿ثم﴾ التي توجب التعقيب والمهلة، ثمّ أقرها عز وجل حيث شاء، وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، لا تزال يبعث منها جملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني المتحدّر من أصلاب الرجال وأرحام النساء...، قال ابن حزم آخر المطاف: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن الإمام إسحاق بن راهويه أنّه ذكر هذا القول الذي قلناه بعينه وقال: على هذا أجمع أهل العلم.

قال ابن حزم: وهو قول جميع أهل الإسلام، حتى خالف من ذكرنا(١).

---

(١) الفصل في الملل لابن حزم ٤: ٥٨. مكتبة الخانجي، القاهرة.
ذكر ابن حزم في بداية هذه المسألة أن من خالف هم: عوام أهل الحديث وبعض الأشعريّة.

قول الإمام الخازن (٧٤١هـ) إنّه مذهب السلف

قال الإمام عليّ بن محمّد الخازن (٧٤١هـ) منتصراً للقائلين بعالم الذر: المذهب الأول هو المختار؛ لأنه مذهب جمهور المفسرين من السلف، وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم [١].

قول ابن الوزير الحسني (٨٤٠هـ) في العواصم

وقال الإمام السني محمد بن إبراهيم ابن الوزير بعد أن ساق أخبار الذر وصححها: فهذه الآثار وأمثالها تقوي القول بإخراج ذرية آدم من صلبه مرّة أولى؛ ويدل عليه أيضاً ما ذكره ابن عبد البر وغيره في تفسير قوله سبحانه تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [٢] فإنّهم فسروا إسلام الخلق كلّهم بذلك، وقالوا: إنّ الله تعالى لما قال لهم: ﴿ألست بربكم﴾ قالوا: كلّهم: ﴿بلى﴾ فأمّا أهل السعادة، فقالوا عن معرفة له طوعاً، وأمّا أهل الشقاوة، فقالوه كرهاً.

وممّا يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم﴾ [٣] ففيه أنّ كلّ كافر قد كفر بعد إيمانه، وهذا لا يصحّ ظاهره في هذا التكليف المعلوم لنا، وكذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [٤] فظاهرها خلق جميع المخاطبين، قبل الأمر بالسجود

---

(١) تفسير الخازن (ت: محمد علي شاهين) ٢: ٢٦٧. الكتب العلميّة، بيروت.
(٢) سورة آل عمران: ٨٣.
(٣) سورة آل عمران: ١٠٦.
(٤) سورة الأعراف: ١١.

لآدم في عالم الذر، وهو قول مجاهد، وقتادة، والربيع، والضحاك..؛ ومجاهد من أصح المفسرين تفسيراً.

فأمّا قول ابن عباس: «خُلقوا في أصلاب الرجال، وصُوروا في أرحام النساء» فلا يناقض هذا، وإن كان الحاكم صححه على شرط الشيخين؛ فإنَّ الجميع من الخلق والتصوير ممكن أنّه كان في ذلك الخلق الأول، وذلك داخل، وهو ظاهر الترتيب في قوله: ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ ويترجح بما تقدم، والله سبحانه أعلم، على أنّه موقوف، لا يجب أو لا يجوز ترك الظاهر له، خصوصاً مع عدم شذوذ القائل به، وكثرة شواهده[1].

(١) العواصم والقواسم(ت: شعيب الأرنؤوط) ٧: ٢٦٩. الرسالة، بيروت.

قول الإمام الخطابي (٣٨٨هـ) في معالم السنن

قال الإمام أبو سليمان حمد بن محمّد الخطابي في شرح «الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف...»: معنى الحديث الإخبار عن مبدأ كون الأرواح، وتقدمها على الأجساد التي هي ملابستها، على ما روي في الحديث: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا كذا عاماً»[1].

قول الإمام المالكي (٤٦٣هـ) ابن عبد البر في الاستذكار

قال في كتابه الاستذكار: قال إسحاق بن راهويه (إمام كبير الشأن ٢٣٨هـ): أجمع أهل العلم أنّها الأرواح قبل الأجساد، فاستنطقهم، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ فقال: انظروا أن لا تقولوا: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾ واحتج إسحاق أيضاً بحديث أبي بن كعب مرفوعاً في الغلام الذي قتله الخضر- أنّه كان طبع كافراً، وبأنّ ابن عباس كان يقرأ: ﴿وأمّا الغلام﴾ فكان كافراً. وقد ذكرنا ما للعلماء في تأويل قول الله عز وجل: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ في التمهيد. وسئل حماد بن سلمة عن قوله عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة» فقال: هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم من أصلاب آبائهم، وهو نحو ما تقدم من قول إسحاق. وقد كان أحمد بن حنبل حيناً يقول به وحيناً يحيد عنه، وقد تقصينا عن العلماء أهل الأثر الآثار الشاهدة لأقوالهم في التمهيد (أحد كتب ابن عبد البر)، وأمّا أهل البدع فمنكرون لما قاله العلماء في تأويل قول الله عز وجل: ﴿وإذ خذ

---

(١) معالم السنن للخطابي ٤: ١١٥. المطبعة العلميّة، حلب.

ربك من بني آدم﴾ قالوا: ما أخذ الله من آدم وذريته شيئاً قط قبل خلقه إيّاهم، وما خلقهم قط إلاّ في بطون أمهاتهم، وما استخرج قط من ذرية آدم دونه مخاطب [١].اهـ.

قال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في الفتح

قال الإمام ابن حجر: قد وقع الاتفاق على أنّ الملائكة مخلوقون وهم أرواح، وحديث: «الأرواح جنود مجندة...» والجنود المجندة لا تكون إلاّ مخلوقة، وقد تقدم هذا الحديث وشرحه في كتاب الأدب[٢].

هذا ما تسنّى لما آثره مختصرنا من الأقوال المهمّة، فهاك النصوص الصحيحة الصريحة الفصيحة في كلّ ما ذكر آنفاً..

---

(١) الاستذكار (ت: سالم عطا) ٣: ١٠٧. دار الكتب العلمية، بيروت

(٢) فتح الباري ١٣: ٤٤٤. دار المعرفة، بيروت.

لكلّ إنسان في الذر، وبيصٌ من نور

حديث أبي هريرة

أخرج الحاكم(٤٠٥هـ) قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا بشر بن موسى الأسدي، وعلي بن عبد العزيز، قالا: ثنا أبونعيم، ثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر، ثمّ جعل بين عيني كلّ إنسان منهم وبيصاً من نور، ثمّ عرضهم على آدم، فقال آدم: من هؤلاء يا رب؟!. قال: هؤلاء ذريتك...»(١).

قال الحاكم: هذا صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وأخرجه الترمذي(٢٧٩هـ) قال: حدثنا عبد بن حميد، قال: حدثنا أبو نعيم، به مثله، وقال: هذا حديث حسن صحيح(٢).

والحديث نص صريح في وجود بني آدم حقيقة في عالم الذر أشباحاً؛ لقوله: «وبيصاً من نور» أي بريق ولمعان، ولا يمكن افتراض المجاز في هذا إطلاقاً، كما أنّ الوبيص النوري لا يتلائم إلاّ مع خلقهم الشبحي؛ إذ الأرواح مجرّدة بإجماع العلماء، والمجرّد منزه عن أي قالب نوري أو طيني.

---

(١) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٣٥٤، رقم: ٣٢٥٧.العلمية، بيروت.

(٢) سنن الترمذي (بشار عواد)٥: ١١٧، رقم: ٣٠٧٦. دار الغرب الإسلامي بيروت.

حديث ابن عباس

أخرج الإمام الطبريّ (٣١٠هـ) موقوفاً بعدّة طرق؛ منها قوله: حدثنا أبو كريب (محمد بن العلاء الهمداني، ثقة خ م) [١] قال: حدثنا ابن علية، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «مسح الله ظهر آدم، فاستخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة».

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[٢].

وأخرجه الطبري في تفسيره قال: حدثني أحمد بن محمد الطوسي (ابن نيزك، ثقة صدوق) قال: حدثنا الحسين بن محمد (التميمي، ثقة خ م) قال: حدثنا جرير بن حازم(الأزدي، ثقة خ م)، عن كلثوم بن جبر (البصري ثقة م)، عن سعيد بن جبير(الفقيه الشهيد، ثقة خ م)، عن ابن عباس مثله[٣].

قلت: إسناده صحيح.

ومن طريق آخر أخرج الطبري قال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر، به قريب منه[٤].

قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات سوى سفيان بن وكيع، وهو ثقة فيه لين. وقد توبع بيعقوب الدورقي وهو ثقة..

---

(١) الذي بين القوسين، هنا وفي بقيّة الكتاب، منّا لمزيد التوضيح .
(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٨، رقم: ١٥٣٤٦. الرسالة، بيروت.
(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٢، رقم: ١٥٣٣٨. الرسالة، بيروت.
(٤) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٩، رقم: ١٥٣٥٠. الرسالة، بيروت.

الله تعالى كلّم أهل الذر قُبُلاً، في عرفة، وكلّموه

حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما

وأخرج الطبري أيضاً والحاكم وأحمد - واللفظ للحاكم- قال: أخبرنا عبد الصمد بن علي بن مكرم، ببغداد، ثنا جعفر بن محمد الصائغ (العابد ثقة متقن)، ثنا الحسن بن محمد المروزي (الصحيح الحسين، كما في مسند أحمد والطبري)، ثنا جرير بن حازم (الأزدي ثقة خ م)، عن كلثوم بن جبر (بن جبر البصري، ثقة صدوق، م)، عن سعيد بن جبير (الفقيه الشهيد، ثقة خ م)، عن ابن عباس، عن النبي قال:

«أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعني بعرفة، فأخرج من صلبه كلّ ذريّة ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثمّ كلّمهم قُبُلاً، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[١].

قال الحاكم النيسابوري(٤٠٥هـ): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح[٢].

وأخرجه أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) في مسنده قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير يعني ابن حازم به مثله.

قال محققه شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير كلثوم فمن رجال مسلم[١].

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢-١٧٣.

(٢) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر عطا) ٢: ٥٩٣، رقم: ٤٠٠٠. العلمية، بيروت.

وقال الهيثمي(٨٠٧هـ): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[٢].

قلت: لا منافاة بين الموقوف على ابن عباس مع المرفوع إلى النبي ﷺ؛ للإجماع على أنّ زيادة الثقة حجّة مقبولة.

ولو أغمضنا فيتعيّن للموقوف حكم المرفوع؛ لاستحالة اطلاع ابن عبّاس على هذه الأسرار بغير وحي ومعصوم.

وقوله ﷺ: «كلّمهم قُبُلاً» أي مقابلة دون حجاب. و: «كالذر» تشبيه..؛ فالذرّ فيما بيّنا إمّا صغار النمل الذي لا يكاد يرى إلاّ بخفاء، وإمّا الغبار المتطاير الذي لا يُرى إلاّ بأشعة الشمس الرقيقة، والتشبيه بالذر، إشارة إلى خلقهم الشبحي، وهو جسم مادّي تعسر رؤيته؛ وقد أشرنا إلى هذا في التنبيهات.

يشهد له أيضاً ما أخرجه الطبري في تفسيره قال: حدثنا عمران بن موسى (بن حيان الليثي القزاز، الصفار، ثقة) قال: حدثنا عبد الوارث (بن سعيد بن ذكوان، أحد الأئمة الأعلام) قال: حدثنا كلثوم بن جبر قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ قال: سألت عنها ابن عباس، فقال: «مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذه – وأشار بيده – فأخذ مواثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾»[٣].

قلت: إسناده صحيح.

---

(١) مسند أحمد(ت: شعيب الأرنؤوط) ٤: ٢٦٧، رقم: ٢٤٥٥. الرسالة، بيروت.
(٢) مجمع الزوائد(ت: حسام القدسي) ٧: ٢٥، رقم: ١١٠٢٠. مكتبة القدسي القاهرة.
(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٣، رقم: ١٥٣٣٩. الرسالة، بيروت.

وأخرج الطبري (٣١٠هـ) قال: حدثنا ابن وكيع ويعقوب (بن إبراهيم العبدي الدورقي ثقة خ م) قالا حدثنا ابن علية (إسماعيل بن إبراهيم، إمام حافظ ثقة، خ م) قال: حدثنا كلثوم بن جبر (ثقة م) عن سعيد بن جبير (ثقة إمام خ م)، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ ؟!.

قال: «مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة، وأخذ ميثاقهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ اللفظ لحديث يعقوب[1].

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وهذه الأخبار، وهناك غيرها ستأتي، صريحة فيما قلناه من وجودهم الحقيقي قبل خلق الدنيا، ومعنى أخذ الميثاق منهم في عرفات، ما يداخل ذلك من عالم المثال، فللبيت وجود مثالي قبل خلق الدنيا.

وستأتي النصوص الصحيحة في ذلك..، لكن نشير فقط إلى ما أطلقنا عليه تداخل العوالم..؛ فالعوالم وإن تسلسلت في الرتبة حسب شرفها، لكنّها ذات الوقت متداخلة..

فمن ذلك ما تواتر أنّ النبيّ ﷺ كان يسمع ويرى عذاب جبابرة قريش بعد معركة بدر عند قليب بدر، غاية الأمر ان هذا العالم البرزخي انحجب عنّا..

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٤، رقم: ١٥٣٤٠. الرسالة، بيروت.

ومن ذلك قوله عليه السلام: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» وهي جنّة على الحقيقة، متداخلة مع عالمنا الدنيوي، لكنّها محجوبة عنا بسبب خسّة عالم الدنيا قياساً بعالم الجنّة والبرزخ..، وسيأتي بعض البسط، فارتقب.

حديث هبوط آدم في الهند تخليط!!.

أخرج الطبري قال: حدثنا عمر وقال: حدثنا عمران بن عيينة قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أول ما أهبط الله آدم، أهبطه بدهنا، أرض بالهند، فمسح الله ظهره، فأخرج منه كلّ نسمة هو بارئها إلى أن تقوم الساعة، ثمّ أخذ عليهم الميثاق: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾[1].

قلت: هذا منكر؛ ففي إسناده عطاء بن السائب الثقفي، وهو وإن وثّق، لكن ذكروا أنّه اختلط بآخره، وهذا الحديث لشذوذه وما فيه من نكارة وتخليط، شاهد على ذلك؛ ضرورة أنّ يوم الذر قبل خلق الهند والصين..؛ بل قبل خلق السماوات والأرضين، في هيئتيهما الترابيتين..؛ وقد مضى صحيحاً أنّه قبل خلق الدنيا والأجساد.

الزبدة: لا يحتج بما ينفرد به عطاء حال الشذوذ والمخالفة، ولا يلتفت إليه، وإن كان ثقة فيما عدا ذلك، وعلى هذا نقاد أهل السنّة، وربما هو محمول على ما أطلقنا عليه تداخل العوالم، فانظر الخاتمة.

وممّا يشهد لكون الله سبحانه وتعالى عاين أهل الذر وعاينوه، دون حجاب، حديث آخر عن الحبر ابن عباس رضي الله عنهما، فهاكه..

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)١٣: ٢٢٥، رقم: ١٥٣٤٢، الرسالة، بيروت.

الله سبحانه عاين أهل الذر وعاينوه؟!

أخرج الإمام الواحدي (٤٦٨هـ) في الوسيط قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى (محدث مشهور صحيح السماع)، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري (ثقة)، نا جعفر بن محمد بن شاكر (ثقة عارف بالحديث)، نا الحسين بن محمد المروزي (ثقة خ م)، نا جرير (الضبي، ثقة خ م)، وعن كلثوم بن جبر (ثقة م)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي: «أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كلّ ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه، ثمّ كلّمهم قُبُلاً معاينةً، فقال سبحانه: ﴿ألست بربكم قالوا: بلى...﴾[1].

قلت: إسناده صحيح ولا أقل من الحسن، وقد مضى ما يشهد له عن ابن عبّاس رضي الله عنه، ممّا هو صحيح الإسناد صدر العنوان السابق.

وسيأتي في الفصل الثاني في أخبار أهل البيت عليهم السلام الصحيحة، أنّ المعاينة هنا هي معاينة قلب وانكشاف، لا معاينة بصر وآلة، فلا تذهل.

ونؤكّد أنّ أهل الذر أشباحٌ وليسوا مجرد أرواح؛ فالأشباح كما أوضحنا أكثر من مرة، وهي: الأرواح التي ركّبت عليها أبدانٌ مثاليّة من طين، ومعنى مثاليتها عدم طروّ الفناء عليها، وأنّها كظلّ الأشياء، ليس لها وزن أو أبعاد تعرفها قوانين الدنيا..!! يدلّ على هذا..

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن (ت: عبد الغني الجمل) ٢: ٤٢٥، رقم: ٣٧٢.

خلقهم الله سبحانه أرواحاً ثمّ صوّرهم أشباحاً

حديث أبي بن كعب

أخرج الدولابي (٣١٠هـ) في الكنى قال: حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي (ثقة صدوق)، قال: حدثنا معتمر بن سليمان (بن طرخان التيمي ثقة خ م)، قال: حدثني أبي (سليمان بن طرخان ثقة خ م)، عن الربيع بن أنس (البكري، ثقة صدوق)، عن رفيع أبي العالية (رفيع بن مهران الرياحي، ثقة خ م)، عن أبي بن كعب، في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1].

قال أبيّ بن كعب رضوان الله عليه: جمعهم له يومئذ جميعاً؛ ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحاً، ثمّ صوّرهم، واستنطقهم، فتكلّموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم؟!. قالوا: بلى[2].

وقد أخرجه الحاكم النيسابوري قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا أبو جعفر عيسى بن عبد الله بن ماهان، عن الربيع بن أنس، به أطول منه.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح[3].

قلت: لا شك في صحة إسناده؛ فلقد توبع جلّ رواته بثقات آخرين من طرق أخرى، لا يسعنا البسط فيها الآن؛ علنا نعرض لبعضها حسب الحاجة..

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢– ١٧٣.

(٢) الكنى والأسماء للدولابي (ت: أبو قتيبة) ٢: ٦٩٧، رقم: ١٢٢٢.دار ابن حزم، بيروت.

(٣) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٣٥٣، رقم: ٣٢٥٥.العلمية، بيروت.

وقول أبي بن كعب رضوان الله عليه: «فجعلهم أرواحاً، ثمّ صوّرهم، واستنطقهم، فتكلّموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق».

صريحٌ أنّ الله تعالى خلق الأرواح أولاً، ثمّ صورها ثانياً؛ أي ركّب للأرواح أبداناً مثاليّة، فصارت أشباحاً؛ كصور الأشياء في المرآة، ثمّ بعد ذلك استنطقها سبحانه وكلّمها.

الزبدة:

الحديث نصّ في أنّ أهل الذر كانوا أرواحاً، ثمّ صوّرهم أشباحاً، وسيأتي هذا عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام في الفصل اللاحق بكلّ صراحة ومنتهى الفصاحة..؛ يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾[1].

قال السمعاني (٤٨٩هـ): قال مجاهد: خلقناكم في ظهر آدم، ثمّ صورناكم يوم الميثاق، حين أخرجهم كالذر. قال السمعاني: فإن قال قائل: الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم، فما معنى قوله: ﴿ثمّ قلنا للملائكة﴾ عقيب ذكر الخلق والتصوير؟!.

والجواب: على قول مجاهد، وقول من صرفه إلى آدم، يستقيم الكلام[2].

وقال ابن الجوزي (٥٠٧هـ): ﴿ولقد خلقناكم﴾ يعني الأرواح، ﴿ثم صورناكم﴾ يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد»[3].

---

(١) تفسير السمعاني (ت: ياسر إبراهيم): ٢: ١٦٧. دار الوطن، الرياض.
(٢) سورة الأعراف: ١١.
(٣) تفسير ابن الجوزي (عبد الرزاق المهدي) ٢: ١٠٤. الكتاب العربي، بيروت.

وعجب ممّن أنكر – من أهل السنّة – عالم الذر والأشباح، وقبلها الأرواح، وكذا تكلّفهم القبيح جدّاً في تفسير: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ وحياهم في مصادرهم المعتمدة، نص أبيّ بن كعب الصحيح الصريح الذي يشهد له..

حديث ابن عبّاس

أخرجه الإمام السني الكبير ابن مندة (٣٩٥هـ) ما أحمد بن محمد الوراق (بن عبد الخالق، ثقة)، ثنا محمد بن إسماعيل (بن يوسف السلمي، ثقة حافظ)، عن حجاج بن محمد (المصيصي ثقة خ م)، عن ابن جريج (عبد الملك، ثقة خ م)، عن الزبير بن موسى (بن ميناء المكي، ثقة صدوق غير مطعون فيه)، عن سعيد بن جبير (المفسر الكبير الشهيد، ثقة بإجماع خ م)، عن ابن عباس قال: «إنّ الله ضرب منكبه (=آدم) الأيمن فخرجت كلّ نفس مخلوقة للجنّة بيضاء نقية فقال سبحانه: «هؤلاء أهل الجنة» ثمّ ضرب منكبه الأيسر فخرجت كلّ نسمة مخلوقة للنّار سوداء، فقال: «هؤلاء أهل النّار» ثمّ أخذ عليهم عهودهم على الإيمان، والمعرفة له، ولأمره، والتصديق به وبأمره بني آدم كلّهم، فأشهدهم على أنفسهم، وصدّقوا وعرفوا وأقرّوا.

قال ابن مندة: وبلغني أنّه أخرجهم على كفه أمثال الخردل، قال مجاهد عن ابن عباس قال: إنّ الله جل وعز لما أخرجهم قال: «يا عبادي أجيبوا الله، والإجابة الطاعة،» فقالوا: أطعناك اللهم أطعناك، لبيك اللهم لبيك، فأعطيها إبراهيم عليه السلام في المناسك لبيك اللهم لبيك قال: وضرب متن آدم عليه السلام حين خلقه. قال ابن عباس: خلق آدم ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر فكلّمهم ثم أعادهم في صلبه، فليس أحد إلاّ قد تكلّم وقال ربي الله، وكلّ مخلوق خلق وهو كائن إلى يوم القيامة، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها. قال ابن عباس، وأبي بن كعب من رواية أخرى: استنطقهم فنطقوا[1].

---

(١) الرد على الجهميّة (تحقيق: علي الفقيهي): ٣٣: ١٠. المكتبة الأثريّة، باكستان

قلت: إسناده حسن صحيح، وقد توبع رواته من وجه آخر سنسرده الآن، والحديث نصٌ ظاهر في ما نحن فيه؛ فقوله: «فكلّمهم ثم أعادهم في صلبه» ممّا يأبى المجاز..

متابعة لما رواه الزبير عن سعيد

أخرجها ابن مندة قال: أخبرنا مسلم بن الفضل (الآدمي ثقة)، بمكة، ثنا محمد بن عثمان بن إبراهيم العبسي (إمام حافظ ثقة بصير بالحديث)، ثنا أبو بلال الأشعري (مرداس بن محمد، مقبول في المتابعات)، ثنا أبو بشر (جعفر بن إياس ثقة خ م)، عن الحكم (بن عتيبة الكندي، خ م)[1]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قريب منه [2].

قلت: الحديث صحيح، وهذا الإسناد قويّ معتبر..؛ سقناه شاهداً لما رواه الزبير عن سعيد بن جبير.

والحديث ليس بموقوف على ابن عبّاس، بل مرفوع إلى رسول الله ﷺ؛ لقول ابن عباس في تفسير الآية: قال الله. وتبيان القرآن محصور برسول الله محمّد ﷺ. يشهد للرفع ما مضى ويأتي..

---

(١) ولا تتوهمنّ أنه الحكم بن عبد الملك الضعيف؛ لأنه لا يروي عن سعيد وليس من تلامذته.

(٢) الرد على الجهميّة (تحقيق: علي الفقيهي): ٣٣: ١٠. المكتبة الأثريّة، باكستان

حديث آدم وداود عليهما السلام في الذر

أخرجه أحمد بن حنبل قال: حدثنا روح، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ أول من جحد آدم عليه السلام، قالها ثلاث مرات؛ إنّ الله لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره، فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة، فجعل يعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، فقال أي رب، أي بني هذا؟!. قال: هذا ابنك داود، قال: أي رب، كم عمره؟!. قال: ستون سنة، قال: أي رب، زد في عمره، قال: لا، إلاّ أن تزيده أنت من عمرك، فكان عمر آدم ألف عام، فوهب له من عمره أربعين عاماً، فكتب الله عز وجل عليه كتاباً، وأشهد عليه الملائكة، فلما حضر آدم عليه السلام، أتته الملائكة لتقبض روحه، فقال آدم: إنّه لم يحضر أجلي، قد بقى من عمري أربعون سنة. فقالوا: إنّك قد وهبتها لابنك داود، قال: ما فعلت ولا وهبت له شيئاً، وأبرز الله عز وجل عليه الكتاب، فأقام عليه الملائكة».

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح [١].

وأخرجه الحاكم قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد، ثنا أحمد بن مهران، ثنا أبو نعيم، ثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي مثله.

قال الحاكم: صحيح الإسناد [٢].

---

(١) مسند أحمد (ت: أحمد محمد شاكر) ٣: ٤٧٠، رقم: ٣٥١٩. دار الحديث القاهرة.

(٢) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٦٤٠. رقم: ٤١٣٢. العلمية، بيروت.

قلت: وهو نصّ في عالم الذر حقيقة لا مجازاً؛ لقول النبي ﷺ: «فرأى فيهم رجلاً يزهر»، وغير ذلك ممّا هو نص في المطلوب.

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

أخرج الطبري قال: حدثنا ابن بشار قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: «أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس».

وأخرجه أيضاً قال: حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا: حدثنا جرير، عن منصور به مثله.

قال الإمام أحمد محمد شاكر: أثران موقوفان صحيحان [1].

قلت: إسناداهما صحيحان، وهما ظاهران في الذر وخلق الأشباح قبل خلق الدنيا.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٣، رقم: ١٥٣٥٦. الرسالة، بيروت.

النصّ على خلق الأرواح قبل الأجساد

أخرج الطبري في تفسيره، قال: حدثنا ابن حميد (محمد بن حميد الرازي، وثقه جماعة وضعفه آخرون) قال: حدثنا يحيى بن واضح (ثقة)، قال: حدثنا موسى بن عبيدة (الربذي وثقه جماعة وضعفه آخرون)، عن محمد بن كعب القرظي(ثقة خ م) في قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾، قال: «أقرَّت الأرواح قبلَ أن تُخْلق أجسادها»[1].

وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة عن وكيع (إمام ثقة خ م)، عن موسى، به مثله[2].

أقول: إسناده حسن. وقد ورد من طرقنا الصحيحة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) أنّ الفترة ألفا عام وسيأتي.

والمقصود بإقرار الأرواح قبل الأجساد، أي الأشباح قبل الأجساد الدنيويّة، وإنّما عبّر عنها بالأرواح للمقابلة مع الأجساد؛ ضرورة أنّ الأشباح لا جسد لها ولا وزن ولا أبعاد تعرفها قوانين الدنيا، وإنّما هي أبدان مثالية، ألصق شيء بالأرواح، فيما أوضحنا وسيأتي مزيد منه..

وننبه أنّ النص لا يقتصر على هذا، فهناك ما يشهد له كحديث: «الأرواح جنود مجندة». وسيأتي سرده قريباً..

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٤٤، رقم: ١٥٣٧٦. الرسالة، بيروت.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (ت: كمال الحوت) ٧: ٢٦٥. رقم: ٣٥٩٢٨. الرشد الرياض.

إرجاعه تعالى أشباح الذر إلى صلب آدم

أخرج البيهقي قال: أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي (ثقة إمام صدوق متقن)، أخبرنا أبو الحسن الطرائفي (إمام صدوق مسند أمين)، حدثنا عثمان بن سعيد (الإمام الكبير الثقة الدارمي)، حدثنا عبد الله بن صالح (الجهني ثقة، حسن الحديث، احتج به البخاري)، عن معاوية بن صالح (الحضرمي ثقة احتج به مسلم)، عن علي بن أبي طلحة (الهاشمي، ثقة صدوق حسن الحديث، م)، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ؟!!.

قال ابن عبّاس: «إنّ الله عز وجل خلق آدم، ثمّ أخرج ذريته من صلبه مثل الذر، فقال لهم: من ربكم؟!. قالوا: الله ربنا، ثمّ أعادهم في صلبه حتى يولد كلّ من أخذ ميثاقه، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة[1].

قلت: إسناده حسن صحيح؛ ولقد توبع رواته..

بما أخرجه الطبري قال: حدثنا ابن وكيع (صدوق مقبول) قال: حدثنا ابن نمير (ثقة خ م)، عن نضر بن عربي (الباهلي ثقة): ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾، قال: «أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق، ثمّ ردّهم في صلبه»[2]. قلت: إسناده قويّ.

وهو نصّ أنّ الله تعالى ردّهم في صلب آدم أشباحاً، لكن ربما يشكل كيف يمكن ذلك؟! سيأتيك البيان..

---

(١) القضاء والقدر للبيهقي (ت: محمد آل عامر): ١٤٢، رقم: ٦٨.العبيكان، الرياض.

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٦، رقم: ١٥٣٦٨. الرسالة، بيروت.

وأخرج الطبري - أيضاً - قال على الظاهر: قال: حدثنا ابن فضيل وابن نمير، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ قال: أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم في صلبه[1].

قلت إسناد معتبر، والحديث نصٌّ ظاهر في كون أهل الذر أشباحاً..

إشكال: كيف استوعبنا صلب أبينا آدم عليه السلام !!

كيف أعيدوا كلّهم في صلبه، وهم من الكثرة بمكان؟!!.

جوابه بسيط؛ ضرورة أنّهم أشباح؛ نظير الظلال وصور الأشياء في المرآة، وهذه الصور والظلال فيما جزم أهل الحكمة والمعرفة، هي وإن كانت وجودات حقيقيّة لكنّها ذات الوقت، ليست هي بشيء تتناولها قوانين الأبعاد الدنيويّة؛ إذ ليست لها أوزان ولا أبعاد جسميّة تعرفها الدنيا وقوانينها الهالكة، وإنّما هي سرٌّ من أسرار الواحد الأحد سبحانه وتعالى، على أنّ أصل هذا معلوم بالوجدان؛ فكلّنا كما يشهد الطب الحديث، كنّا في صلب أبينا آدم على الحقيقة، كامنين في جيناته (صلوات الله عليه)؛ فلا داعي للاستغراب إطلاقاً؟!!!.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٦، رقم: ١٥٣٦٧. الرسالة، بيروت.

الله تعالى عيّن أهل الجنّة والنّار يوم الذر

حديث ابن عباس

أخرج الطبري قال: حدثنا أبو كريب (محمد بن العلاء الهمداني، إمام حافظ ثقة خ م)، قال: حدثنا يحيى بن عيسى (بن عبد الرحمن التميمي النهشلي، وثقه أحمد وغيره وضعفه ابن معين وغيره)، عن الأعمش (الإمام سليمان بن مهران، ثقة خ م)، عن حبيب بن أبي ثابت (الإمام ثقة خ م) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ ؟!!

قال: «لما خلق الله آدم، أخذ ذريته من ظهره مثل الذر، فقبض قبضتين، فقال لأصحاب اليمين: ادخلوا الجنة بسلام، وقال للآخرين: ادخلوا النّار ولا أبالي»[1].

أقول: إسناده حسن صحيح. ولا يصلح الوقوف على ظهوره البدوي المنتج لتوهم الجبر؛ لما مرّ من إقرار أهل النار كرهاً تقيّةً، فراجع.

كما لا يصحّ الوقوف على اطلاقه؛ لكونه من المقيد المخصّص؛ فسيأتي في كتابنا البداء أنّ هذا مشروط بالبداء؛ أي بمن يمحوهم الله تعالى - بمنّه ولطفه وفضله ورحمته - من ديوان الأشقياء، ليدرجهم في ديوان السعداء، دون العكس؛ لاستحالته..؛ يشهد لأصل العنوان..

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٧، رقم: ١٥٣٤٤. الرسالة، بيروت.

حديث عمر بن الخطاب

ما أخرجه الطبري قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري (ثقة حافظ م) قال: حدثنا روح بن عبادة (القيسي ثقة خ م)، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أبي أنيسة (الجزري ثقة، خ م) عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (ثقة خ م)، عن مسلم بن يسار الجهني (ثقة): أن عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾، فقال عمر: سمعت رسول الله يقول: «إنّ الله خلق آدم ثمّ مسح على ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنّة يعملون. ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنّار، وبعمل أهل النار يعملون». فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟!. قال النبيّ: «إنّ الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة، فيدخله الجنة؛ وإذا خلق العبد للنّار، استعمله بعمل أهل النّار، حتّى يموت على عمل من عمل أهل النّار، فيدخله النار»[1].

أخرجه أحمد قال: حدثنا روح وإسحاق ومصعب الزبيري، قالوا: حدثنا مالك، وقال مصعب: أخبرني مالك به مثله[2].

قال الإمام أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح [3].

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٤، رقم: ١٥٣٥٧. الرسالة، بيروت.
(٢) مسند أحمد (ت: أحمد شاكر) ١: ٢٩٨، رقم: ٣١١. دار الحديث القاهرة.
(٣) مسند أحمد (ت: أحمد شاكر) ١: ٢٩٨، رقم: ٣١١. دار الحديث القاهرة.

وأخرجه الحاكم قال: حدثنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي، بمرو، ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا روح بن عبادة، ثنا مالك به مثله، وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه [١].

قلت: إسناده صحيح، شواهده كثيرة. وقد أخرجه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن [٢].

قلت: وهذا أيضاً لا يجوز شرعاً الاقتصار عليه، ولا الأخذ بإطلاقه؛ لكونه مشروطاً بالبداء، وقد روى عمر بن الخطاب نفسه هذا المعنى، وسيأتي في كتابنا البداء [٣] بإذن الله تعالى، ما يشهد له..

---

(١) مستدرك الحاكم (مصطفى عبد القادر عطا) ١: ٨٠، رقم: ٧٤. العلميّة، بيروت.

(٢) سنن الترمذي (بشار عواد)٥: ١١٦، رقم: ٣٠٧٥. دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٣) كتاب البداء بين السنة والشيعة للمؤلف.

حديث أبي موسى الأشعري

ما أخرجه الإمام الفريابي، جعفر بن محمد (٣٠١) قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد (الباهلي ثقة خ م)، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي(ثقة صالح)، قال: سمعت يزيد الرقاشي(ابن أبان، ثقة في نفسه لين الحديث)، قال: سمعت غنيم بن قيس (الكعبي له رؤية، ثقة بإجماع)، قال: قال أبو موسى:

قال رسول الله: «إنّ الله عز وجل يوم خلق آدم قبض من صلبه قبضتين، فوقع كلّ طيّب بيمينه، وكلّ خبيث بشماله، فقال: هؤلاء أصحاب اليمين ولا أبالي، هؤلاء أصحاب الجنة، وهؤلاء أصحاب الشمال ولا أبالي، هؤلاء أصحاب النّار، ثمّ أعادهم في صلب آدم فهم ينسلون على ذلك الآن»[1].

أقول: إسناده حسن في الشواهد. والأمر في إطلاقه هو الأمر، وسيأتي في مروياتنا عن الصادقين عليهم السلام ما يشهد لفقرة: «أعادهم في صلبه»..

(١) القدر، للفريابي (ت: عبد الله المنصور): ٤٩، رقم: ٣٥. أضواء السلف، السعوديّة.

حديث أبي الدرداء

أخرج الإمام البزار في مسنده قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: حدثنا سليمان بن عتبة، عن يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام قال:

«خلق الله تبارك وتعالى آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنّهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنّهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة، ولا أبالي، وقال للذي في يساره: إلى النار، ولا أبالي».

قال البزّار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله بهذا اللفظ إلاّ من هذا الوجه بهذا الإسناد، وإسناده حسن [١].

وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح [٢].

---

(١) مسند البزار ١٠: ٧٨، رقم: ١٤٣. مكتبة العلوم والحكم، المدينة.

(٢) مجمع الزوائد (ت: حسام القدسي) ٧: ١٨٥، رقم: ١١٧٧٧. مكتبة القدسي القاهرة.

إشكال: ظهور الأحاديث المارّة في الجبر؟!!.

قلت: لم أرَ من تعرض لهذا الإشكال من علماء الفريقين، حسب تتبعي القاصر، بما يشفي الغليل، مع أنّه من أكبر الإشكالات في منظومة القضاء والقدر..، فحديث ابن عباس وغيره ظاهر في الجبر وسلب الاختيار، فيما ربما يقال..

حاصل الإشكال؟!

فطر الله تعالى الخلق كلّهم على معرفته وتوحيده، وفيما رواه ابن عباس وغيره أنّ الله تعالى مسح أو ضرب ظهر آدم فأخرج أهل الجنة، ثمّ بعد ذلك، ضرب صلبه عليه السلام فأخرج أهل النار...، وهذا هو الجبر بلحمه وشحمه وعظمه؟!!!.

جواب الإشكال!!

قلت: لا أرى – أنا القاصر – إشكالاً في هذا إطلاقاً، وإنّما اعتاص الحديث وما في معناه، على جماعة من علماء الفريقين؛ لعدم التأنّي في دقيق معناه، ولا التأمّل في ظريف فحواه، ولا استقصاء بقيّة الأخبار التي في سماه، فلو كانوا قد فعلوا ذلك لرجح عندهم أنّ الحديث ظاهر في عكس ما استظهروا، وأنّه يثبت عين ما نفوا؛ توضيح ذلك..

قال ابن عبّاس في الحديث الآنف: «إنّ الله ضرب منكب آدم الأيمن، فخرجت كلُّ نفس مخلوقة للجنّة بيضاء نقية، فقال سبحانه: «هؤلاء أهل الجنّة» ثمّ ضرب منكبه الأيسر فخرجت كلّ نسمة مخلوقة للنّار سوداء، فقال: «هؤلاء أهل النّار» ثمّ أخذ عليهم عهودهم....

ومعنى الحديث أنّ الله تعالى: ضرب ظهر آدم عليه السلام؛ لتخرج كلّ ذريته للإقرار طوعاً، عن يمين منكب آدم، لكن لم يخرج إلاّ أهل الطاعة والجنّة، فلمّا عصى الباقون ولم يخرجوا طوعاً، ضرب سبحانه ظهره عليه السلام مرّة ثانية فأخرجهم عنوةً، على كراهيةٍ منهم، عن شمال منكبه؛ تمييزاً عن أهل اليمين..، وسيأتي النّص على كراهيتهم للإقرار، فانتظر!!

يدلّ عليه إجمالاً في كتاب الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١).

ولا بدّ من هذا التفسير؛ لما تواتر في الفطرة التي فطر الخلائق عليها؛ سيما ما أخرجه مسلم في صحيحه قال: حدثني محمد بن المثنى قال: حدثنا معاذ بن هشام،

(١) سورة آل عمران: ٨٣.

حدثني أبي، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله، قال ذات يوم في خطبته: «ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، ممّا علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإنّي خلقت عبادي كلّهم حنفاء ...»(١).

وثمّة قرينة لما قلناه، وهي قول ابن عبّاس: « فخرجت » ففيه نسبة فعل الخروج إلى نفس الذّر وأنّهم مختارون، وقد ورد في بعض الأخبار الصحيحة الماضية أنّ الله أخرجهم، بنسبة الفعل إليه سبحانه، فاجمع بينهما بما ذكرناه من خروج أهل اليمين طوعاً، وإخراج أهل الشمال كرهاً.

إذا اتّضح هذا، فهاك النّص على أنّ أهل النّار أقرّوا لله تعالى كرهاً يوم الذر، ففيه ما يميط اللثام في سجال النقض والإبرام..

---

(١) صحيح مسلم (فؤاد عبد الباقي) ٤: ٢١٩٧. رقم: ٢٨٦٥. إحياء التراث العربي، بيروت.

النصّ على كراهية إقرار أهل الشمال

أخرج الطبري قال: حدثنا أبو كريب (محمد بن العلاء الهمداني، ثقة حافظ إمام، خ م) قال، حدثنا وكيع (بن الجراح، ثقة حافظ إمام، خ م)، عن سفيان (الثوري ثقة حافظ إمام، خ م)، عن الأعمش (سليمان بن مهران، ثقة حافظ إمام، خ م)، عن مجاهد (بن جبر المكي، ثقة حافظ إمام، خ م)، عن ابن عباس: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: «حين أخذ الميثاق»[1].

قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين، بل في أعلى درجات الصحّة؛ فكلّ رواته أئمة حفاظ ثقات عند أهل السنّة بإجماع واتفاق.

والحديث نصٌّ أنّ فريق من الخلائق، يوم الذر والميثاق أسلموا لله سبحانه وتعالى كرهاً، فاحفظ وتمسّك.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ٦: ٥٦٥، رقم: ٧٣٤٥. الرسالة، بيروت.

شاهد لحديث ابن عباس

أخرجه الطبري أيضاً قال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمر بن طلحة (القناد، ثقة مأمون، رمي بالرفض، م)، عن أسباط (بن نص،ر الهمداني، ثقة فيه كلام، خ م)، عن السدي (إسماعيل، ثقة إمام م): ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾، وذلك حين يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ وذلك حين يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١] يوم أخذ منهم الميثاق، ثمّ عرضهم على آدم عليه السلام »[٢].

وأخرجه الطبري قال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمر، عن أسباط، عن السدي قال: ﴿ألست بركم قالوا بلى﴾ أطاعه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقية»[٣].

قال الطبري في تفسير: ﴿كرهاً﴾ أي: كارهاً[٤].

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٩..

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٤٢، رقم: ١٥٣٧١. الرسالة، بيروت.

(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٤٢، رقم: ١٥٣٧٢. الرسالة، بيروت.

(٤) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ٦: ٥٦٥، رقم: ٧٣٤٥. الرسالة، بيروت.

أهل الذر على قسمين، كلاهما مختار

القسم الأول: من أقر وأسلم لله سبحانه وتعالى طوعاً، وهو مختار.

القسم الثاني: من أقرّ لله سبحانه وتعالى كرهاً؛ أي كراهية منه وتقيّة، وهو أيضاً مختار.

ولا شبهة أنّ كلاً من القسمين، قد فطره الله تعالى على معرفته وتوحيده وعبادته والخضوع له، والنصوص في هذا متواترة.

وحاصله: أنّ أهل الذر يوم الميثاق، مختارون غير مجبورين فيما قضى الله تعالى. وإنّما الشيء الوحيد الذي لا اختيار لهم فيه، هو أنّهم مجبولون على التسليم لله، طوعاً أو كرهاً..

الزبدة في دفع الإشكال؟!

نعيد للتأكيد: أراد الله تعالى من كلّ أهل الذر، بعد أن فطرهم على معرفته وتوحيده، أن يخرجوا كلّهم من صلب آدم الأيمن للإقرار بروبيّته والتسليم لألوهيّته مختارين طائعين، لكن عصى أهل الشقاوة فلم يخرجوا؛ كرهاً منهم للإقرار حتى مع كونهم مختارين؛ فضرب الله تعالى منكب آدم من جديد، ليخرجهم كارهين، ويقرّوا مكرهين.

كذا تَصَنَّفَ أهلُ السعادة والشقاوة ذاك اليوم، لا أنّ الله تعالى صنفهم في الوجود إلى سعداء وإلى أشقياء قبل الإقرار..؛ فتمسكْ بهذا المرام، واحفظه بإلمام؛ فلقد غرقت فيه الأوهام، وحارت فيه الأحلام..

وزبدته:

أولاً: خلق الله تعالى كلّ الأرواح، مفطورةً على الإسلام، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي الذي في صحيح مسلم: «خلقت عبادي كلّهم حنفاء» كلّهم على السعادة.

ثانياً: أمرهم بالخروج من صلب آدم المثالي، قبل خلق الدنيا، فخرج أهل اليمين طوعاً فأقرّوا لله تعالى، وعصى أهل الشمال، فأخرجهم كرهاً، وهنا تميز السعداء عن الأشقياء دون أيّ جبر؛ إذ الجميع مختار.

لكن لماذا كرهوا الإقرار؟! قلت: هذا يحتاج لبسط في القضاء والقدر والأفعال، يتقاصر عنه مقامنا الآن؛ وممّا يناسب المقام..

فائدة: لِمَ قالوا: ﴿بلى﴾، ولم يقولوا: نعم؟!!.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، قال المفسرون سنّة وشيعة، علاوة على أهل اللغة أنّ: ﴿بلى﴾ تستعمل في نفي الجحد الواقع في الخطاب الذي قد يكون استفهاماً وقد لا يكون؛ فهي -فيما نحن فيه- تثبت وتحقق الربوبيّة دون لبس.

أمّا: نعم، فتحتمل الأمرين؛ بلّ لعل الغالب استعمالها في تحقيق المنفي، وهو كفر؛ لذلك ورد عن ابن عباس قال: لو قالوا: نعم لكفروا[1].

قال الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في المبسوط: ولا يجوز أن يكون الجواب في مثل هذا إلاّ بـ:﴿بلى﴾ ولو قالوا: نعم، لكان إنكاراً ولم يكن إقراراً...؛ولهذا يقول الفقهاء إذا قال رجل لآخر: أليس لي عليك ألف درهم؟!.فقال: بلى. كان إقراراً، وإنْ قال: نعم. لم يكن إقراراً، وكان معناه ليس لك عليّ شيء[2].

وقال القرطبي من أهل السنة في تفسيره: ولو قال قائل: ألم تأخذ دينارا؟!.فقلت: نعم، لكان المعنى: لا، لم آخذ؛ لأنّك حققت النفي وما بعده. فإذا قلت: بلى، صار المعنى قد أخذت[3].

---

(١) تفسير ابن جزي الكلبي (ت: عبد الله الخالدي) ١: ٣١٢. شركة دار الأرقم، بيروت.
(٢) المبسوط للشيخ الطوسي (ت: البهبودي) ٣: ٢. المكتبة المرتضوية.
(٣) تفسير القرطبي (ت: أحمد البردوني) ٢: ١٢. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حديث: «الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف...»

حديث أبي هريرة

أخرج الإمام ابن حبّان قال: أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تَعارَفَ مِنْها ائْتلَفَ، وما تَناكرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم[1].

حديث عائشة

أخرجه البخاري عن الليث، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي، يقول: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»، وقال يحيى بن أيوب، حدثني يحيى بن سعيد بهذا[2]. قلت: إسناده صحيح دون كلام.

---

(١) صحيح ابن حبان (شعيب الأرنؤوط) ١٤: ٤٣، رقم: ٦١٦٨. الرسالة، بيروت.

(٢) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٤: ١٣٣، رقم: ٣٣٣٥. دار طوق النجاة.

حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه

أخرجه الحاكم قال: أخبرني محمد بن المؤمل، ثنا الفضل بن محمد الشعراني، ثنا نعيم بن حماد المروزي، بمصر، ثنا الفضل بن موسى، ثنا عبد الأعلى بن أبي المساور، عن عكرمة، عن الحارث بن عميرة، قال في حديث له: ثم أتيت سلمان الفارسي فسمعته يقول: قال رسول الله: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[1].

وقد أخرجه الطبراني بإسنادين قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا محمد بن عمار الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، ثنا عبد الأعلى بن أبي المساور، عن عكرمة، عن الحارث بن عميرة قال: انطلقت حين أتيت المدائن، وإذا أنا برجل عليه ثياب خلقان، ومعه أديم أحمر يعركه، فالتفت فنظر إلي، فأومأ بيده: مكانك يا عبد الله، فقمت، فقلت لمن كان عندي: من هذا الرجل؟ قالوا: هذا سلمان، فدخل بيته فلبس ثياباً بياضاً، ثم أقبل وأخذ بيدي وصافحني وساءلني، فقلت: يا أبا عبد الله، ما رأيتني فيما مضى ولا رأيتك ولا عرفتني، قال: بلى، والذي نفسي بيده لقد عرف روحي روحك حين رأيتك، ألست الحارث بن عميرة؟ فقلت: بلى، فقال: سمعت رسول الله يقول: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها في الله ائتلف، وما تناكر منها في الله اختلف»[2].

(١) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر)٤: ٤٦٦، رقم: ٨٢٩٦.
(٢) معجم الطبراني الكبير (ت: حمدي السفي) ٦: ٢٦٤، رقم: ٦١٧٢. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

قلت: والطرق فيه كثيرة، لا يسعها مختصرنا، والحديث ثابت دون أدنى كلام. وقد استدلّ به مشهور أهل السنة على خلق الأرواح قبل الدنيا وقبل الأجساد، من هؤلاء ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وغيره.

جفّ القلم يوم الذر بما هو كائن!!.

حديث ابن عبّاس

أخرج الطبري قال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمران بن عيينة (الهلالي، وثق وهوصدوق صالح)، عن عطاء (بن السائب، ثقة اختلط بأخرة)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أهبط آدم حين أهبط، فمسح الله ظهره، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾، ثمّ تلا: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ فجف القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة(١).

أقول: حديث صحيح، وهذا الإسناد حسن؛ إذ قد توبع كل من ابن وكيع وعطاء؛ كالآتي..

أخرج قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا حكام قال: حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾، قال: لما خلق الله آدم مسح ظهره بدحنا، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾، قال: فيرون يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة(٢).

قال الطبري: حدثنا يزيد بن هارون (السلمي إمام حافظ ثقة)، عن المسعودي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، ثقة اختلط بأخرة، سماع وكيع عنه قديم)، عن علي

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٦، رقم: ١٥٣٤٣. الرسالة، بيروت.

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٨، رقم: ١٥٣٤٧. الرسالة، بيروت.

بن بذيمة (الجزري، ثقة)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾، قال: «لما خلق الله آدم، أخذ ميثاقه أنّه ربه، وكتب أجله ومصائبه، واستخرج ذريته كالذر، وأخذ ميثاقهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم»(١).

ومن طريق آخر أخرجه، قال: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي، عن المسعودي، عن علي بن بذيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه، فمسح ظهره، فأخذ ذريته كهيئة الذر، فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾(٢).

أقول: الحديث بإسناديه ومتابعاته، صحيح.

لكن - أيضاً - لا يسوغ الوقوف على لفظه ولا التمسّك بإطلاقه، لكونه مخصص، فقضاء الله المكتوب على نوعين: فتارة مبرم وتارة مصروف، ولقد جفّ القلم على كليهما، وليس على المبرم فقط كما هو ظن الجاهلين..

إذ قد جف القلم أيضاً على قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

وعلى هذا إجماع أصحابنا الإماميّة (رضوان الله عليهم)، ووافقنا طوائف من أهل السنّة، وسنعرض لهذا إذا أذن الله تعالى - لأهميته - في كتابنا القادم البداء..،

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٨، رقم: ١٥٣٤٩. الرسالة، بيروت.
(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٢٩، رقم: ١٥٣٤٨. الرسالة، بيروت.
(٣) سورة الفرقان: ٧٠.

فلقد زلّت فيه أقدام، وشطت أفهام، وتاهت أحلام، غفلة عن أحاديث سادة الأنام عليهم السلام ..

كتب الله مقادير الخلائق قبل الدنيا

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

أخرج مسلم في صحيحه قال: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله، يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»[(١)].

قلت: إسناده صحيح دون كلام، وقوله عرشه على الماء، أي قبل خلق السماوات والأرضين، وكتب الله المقادير، أي في اللوح المحفوظ، لا العلم بالتقدير؛ إذ الله سبحانه وتعالى عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح مسلم (ت: فؤاد عبد الباقي) ٤: ٢٠٤٤، رقم: ٢٦٥٣ .إحياء التراث العربي، بيروت.

حديث الإمام السجاد عليه السلام في آية الذر؟!!

أخرج الطبري في تفسيره قال: حدثنا ابن وكيع (سفيان بن وكيع، ثقة فيه لين) قال: حدثنا حفص بن غياث (النخعي ثقة، خ م)، عن جعفر، عن أبيه، عن علي بن حسين أنّه كان يَعْزِلُ، ويتأول هذه الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم﴾ (١).

أقول: إسناده حسن.

وأخرجه - من طرقنا - الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في التهذيب والكليني في الكافي عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان، عن أبي عميرة، عن عبدالرحمن الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام لا يرى بالعزل بأساً يقرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ فكلّ شيء أخذ منه الميثاق فهو خارج وإن كان على صخرة صماء» (٢).

أقول: إسناده صحيح.

وهو نصّ جليّ ظاهر أنّ العزل لا يعيق ما قضى الله تعالى - يوم الذر، قضاءً مبرماً حتمياً - بخروجه إلى الدنيا؛ إذ لا محالة سيخرج..؛ وفيه ظهور أنّ اختيار العبد هيهنا، ممّا قد جفّ عليه القضاء في اللوح هناك، لا ينافيه بأي وجه، يوجزه قول بعض العلماء (رضوان الله عليهم): جفّ القلم هناك على الاختيار هنا. اهـ.

قلت: وهذا لا ينافي علم الله تعالى الأزلي بخواتيم العباد، كما هو أوضح من أن يخفى.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٤٤، رقم: ١٥٣٧٥. الرسالة، بيروت.

(٢) الكافي ٥: ٥٠٤، باب العزل.

الإجماع على أنّ التقدير السابق لا يمنع الاختيار

هذا معلوم ضرورة من مذهبنا المرحوم، كما أنّه كذلك عند جماهير أهل السنّة، ولم يخالف إلاّ المجبّرة..

قال الإمام السني حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) في معارجه: اتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية، على أنّ القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، بل يوجب الجدّ والاجتهاد، والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبيّ أصحابه بسبق المقادير وجريانها، وجفوف القلم بها فقيل له: أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل؟!. قال: «لا، اعملوا فكلّ ميسر»[1].

قلت: قول النبيّ صلى الله عليه وآله هذا، ممّا اعتاص حتى على كثير العلماء، مع أنّ معناه في الجلاء، واضح دون خفاء..

فمعناه بأبسط عبارة: اعملوا؛ فكلّكم – السعداء والأشقياء – مختار، ميسرٌ لعمل الطاعة، ومن رغب منكم عن الطاعة، وأراد المعصية، فهو أيضاً ميسّرٌ لعمل المعصيّة، كلّ هذا بإذن الله تعالى.

وسيأتي تامّ البيان عن إمامنا موسى بن جعفر الكاظم (صلوات الله عليه وعلى آبائه).

---

(١) معارج القبول بشرح سلّم الوصول (ت: عمر محمود) ٣: ٩٥٤. دار ابن القيم، الدمام.

كتابة الملائكة ما يجري على العبد في بطن أمّه؟!

أخرج الترمذي قال: حدثنا هناد قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه في أربعين يوماً ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع ثمّ يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النّار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع، ثمّ يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(١).

وأخرجه البخاري عن آدم، عن شعبة، عن الأعمش به مثله(٢).

قلت: أصل المعنى في حديث ابن مسعود أعلاه من ضروريات ديننا الحنيف، وكبريات عقائد ديننا المنيف، لا خلاف في ذلك..

لكن تساءل البعض أنّ الله تعالى إذا كان قد جفّ قلمه في اللوح، على ما قدر لعباده قبل خمسين ألف سنة من خلق السماوات، فما الحكمة من إعادة كتابة تلكم المقادير في بطون الأمهات..؛ أليس في هذا لغو؟!.

وقبل الجواب عنه نود أن نشير إلى إنهم قسّموا الكتب التي يكتب فيها أقدار الخلق إلى كتابين:

---

(١) سنن الترمذي (بشار عواد)٥: ١١٦، رقم: ٣٠٧٥. دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٢) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٩: ١٣٥، رقم: ٧٤٥٤. دار طوق النجاة.

الكتابة على قسمين: تقدير وتدبير؟!

القسم الأوّل: كتابة التقدير. وهي التي قضى بها سبحانه قبل خمسين ألف سنة من خلق الدنيا؛ لكونه سبحانه عالماً بما كان، ويكون، وما لم يكن، لو كان، كيف يكون، وقد أودع هذا سبحانه في اللوح المحفوظ أو أمّ الكتاب، وفي هذا خلاف لفظي عند العلماء، لا ثمرة فيه..

القسم الثاني: كتابة التدبير، أو كتابة المحو والإثبات. وهي التي قضى بها سبحانه على العباد في بطون الأمهات في هذه الدنيا.

قلت: وكلّ من الكتابين ممّا قد جفّ عليه القلم؛ فلقد جفّ القلم قبل خلق الدنيا على: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، ومن أراد التفصيل فعليه برسالتنا في البداء[1].

---

(١) كتاب البداء بين السنة والشيعة للمؤلف.

حكمة كتابة التدبير؟!!.

والآن نـأتي لجـواب الشـبهة السـابقة وقـد قيـل في جوابهـا: لأنّ الملائكـة لا تعلـم بالتقدير قبل أن تعلمه عن الله تعالى؛ فلا لغويّة..

ويرد عليه أنّ هذا وإن كان حقّاً، لكنّه لا يدفع الشبهة؛ إذ مـا الغـرض مـن كتابـة الملائكة عليهم السلام، وما علاقتها بتقدير الله الذي لا يعجزه شيء سبحانه؟!.

جوابه بسيط ضروريّ عند أهل المعقـول، وإن – ربـما – استعصـى عـلى غـيرهم من أرباب الجزم العجول، موجزه:

إنّ الله تعالى في هذه الدنيا وضع نظاماً لابتلاء عباده بالنحو الأكمل الأتم؛ فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾؛ ضرورة أنّ الله تعالى هـو: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾[1] وإنّما أمر الله تعالى الملائكة بكتابة ما يجري عـلى العباد وهم في بطون الأمهات، لكونه سبحانه قضـى أنّ تدبير عـالم الطـين (=الـدنيا) بيد الملائكة: ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾، فتعيّن أن تعيد الملائكة كتابـة مـا قـدّره الله تعـالى قبـل ذلك بخمسين ألف سنة، ولا بأس ببيان هذا وان استدعى بعض البسط..

إنّ نظـام الابـتلاء هـذا، لا يمكـن تصـوّر أنّـه أكمـل وأتـم مـن دون حـرّ وبـرد، وشمس وقمر، وجفاف ومطـر، وزراعـة وبـذر، وفصـول أربعـة، ومـرض وصـحّة، وحمل تسعة أشهر، ورضاعة وفطام...؛ إذ ليس غرض الله تعالى من الدنيا، هـو مجـرد الخلقة، لينتهي الأمر بكن فيكون، كما هو شأنه سبحانه في عـالم التقـدير والفطـرة، أو عالم الذر لّما استخرج كلّ بني آدم من صلبه دفعة واحدة؛ وإنّما غرضه الآن، الابـتلاء والامتحان، وهما لا يكونان إلاّ بتدبير أسباب تتلاءم مع خلق الدنيا من تراب وطـين

(١) سورة السجدة: ٧.

وحر وبرد وجوع وعطش و...، كما هو مطوي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[3].

إذ لا بدّ من ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ لتكون سلسلة الأسباب في التدبير منتجة لأكمل نظام ابتلاء، وأحسن برنامج امتحان يتدحرج بين الموت والحياة والجوع والخوف والمرض ووو....

وقوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[4] أجلى مصداق لسلسة أسباب التدبير؛ فحتى الموت قد قضى الله عزّ وجل أن لا يباشره إلاّ بتوسّط عزرائيل عليه السلام، مع أنّه سبحانه هو المميت ولا مميت غيره إلاّ بإذنه، وهكذا نزول الأمطار، فإنّها بتوسط ملائكة السحاب، مع أنّ الله هو المنزل؛ إذ ما تسقط من ورقة إلاّ بإذنه..

وغير ذلك كتوسيط الوحي بينه سبحانه وبين أنبيائه عليهم السلام؛ فالله لا يريد مجرد الكلام، ولو كان هذا مراده سبحانه لكلّم كلّ خلقه، فضلاً عن الأنبياء، دون حجاب، بالضبط، كما فعل في عالم الذر في قوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ أو كما كلّم النحل إلهاماً، أو كما كلّم السماوات والأرضين فقالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾..

مراده في عالم التدبير؛ لضعف القابل، وخسّة عالم الدنيا، لا يتحقق إلاّ بحجاب وأبدان وأسباب وحر وبرد وموت وحياة و...؛ هذا هو تفسير أمثال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ

---

(١) سورة هود: ٧.
(٢) سورة الملك: ٢.
(٣) سورة البقرة: ١٥٥.
(٤) سورة النازعات: ٥.

مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ إذ لا يتحقق نظام ابتلاء أكمل في عالم الدنيا الخسيس بغير هذا..

بهذا ينبلج الجواب عن السؤال القائل: لماذا خلق الله تعالى الدنيا في ستة أيام، وقضى بتسعة أشهر في الحمل، وبأربعة فصول؛ إذ لماذا لا تكون خمسة مثلاً، والحمل شهراً؟!.

فجوابه فيما جزم به أهل المعقول والحكمة والتفسير: لأنّ هذا هو الأكمل الأتم، ولا يسعنا البسط الآن.

إذن، فتقدير الله تعالى غير تدبيره، وما يكتبه الله تعالى في التقدير يختلف عمّا يكتبه سبحانه في التدبير؛ وإن كان أصلهما واحداً لا يأتيه الباطل..؛ إذ مردّ عالم التقدير إلى مجرّد علم الله تعالى الذي أحاط بكلّ شيء علماً، أمّا الثاني فمردّه - عدا علمه تعالى بما كان ويكون وسيكون - إلى نظام أسباب يراد منها ابتلاء العباد؛ قد قضى الله تعالى أن تكون بتوسيط ملائكة التدبير ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾.

الزبدة: هذا هو السبب أنّ الله تعالى أمر الملائكة المدبرات بكتابة ما يجري على العبد مرّة ثانية وهو في بطن أمّه؛ فوجهه أنّ نظام الأسباب، ذاك المنتج لأكمل برنامج ابتلاء، لا يمكن تحققه من دون توسيط الملائكة المدبرات.

وهل يحتاج الله تعالى إلى ملائكة لتدبير شؤون خلقه؟!. مسلكان في جوابه، لا يسعهما مختصرنا هذا..، علّنا نعرض لهما في رسالة مستقلة بإذنه تعالى؛ أحدهما لأهل الحكمة، قالوا: لضيق ظرف العباد في تلقي الفيض الإلهي المطلق؛ فقضى سبحانه وتعالى بإيجاد وسائط العصمة؛ كالملائكة والرسل والأوصياء، ليمكن استقبال

الفيض، وفيه كلام طويل؛ المتيقن منه أنّ الله تعالى قضى بذلك ولا رادّ لقضائه سبحانه.

بقي..

التنبيه أنّ كتابة التدبير، وهي التي أمر الله تعالى الملائكة بكتابة مقادير العباد وهم في بطون أمهاتهم، يطرأ عليها المحو والإثبات في الآجال والأرزاق، والشقاء، فضلاً منه سبحانه وتعالى، وهي إعطاء فرصة ثانية لأهل الشقاء أن يكونوا بالابتلاء سعداء، إذا أطاعوا، وسيأتي التفصيل في رسالة البداء إذا أَذن الله تعالى..

كما ننبّه أنّنا إنما أكثرنا من ذكر رسالة البداء في ما نحن فيه؛ لكون منظومة العقيدة الإسلاميّة في مفاصلها الكبرى، واحدة، يستحيل الإلمام بها إلاّ بمجموعها، سيما عقيدة القضاء والقدر والأفعال؛ فهذه العقيدة يستحيل الوقوف عليها من دون الوقوف على عقيدتي الذر والبداء..

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإنجاز رسالة القضاء والقدر، لتكون عوناً في صفّ رسالتي البداء والذر..، إنّه سميع مجيب.

الأنبياء خصّوا – في عالم الذرّ - بميثاق آخر غليظ؟!؟

أصله في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾[1] وقد قال جلّ المفسرين أو أكثرهم: إنّه كان في الذر..

يدلّ عليه ما أخرجه الطبري قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: «جمعهم يومئذ جميعاً، ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾.

قال سبحانه: «فإنّي أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم: أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا..؛ اعلموا أنّه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وأنّي سأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، وسأنزل عليكم كتبي».

قالوا: شهدنا أنّك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقروا له يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم، فنظر إليهم، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: رب لولا ساويت بينهم، قال تعالى: فإنّي أحبّ أن أشكر.

---

(١) سورة الأحزاب: ٧.

قال: وفيهم الأنبياء يومئذ مثل السرج. وخص الأنبياء بميثاق آخر. قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾، وهو الذي يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي ذلك قال: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾، وهو قوله:﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجَآؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾. قال: كان في علمه يوم أقرّوا به، من يصدق ومن يكذب.

قال: أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[1].

قلت: لا يخفى أنّ له حكم المرفوع إلى النبيّ ﷺ؛ لاستحالة الإلمام بهذه الأسرار دون معصوم..، وستأتي طرقنا الصحيحة في الفصل القادم صادحة بذلك..، وقوله: «وفيهم الأنبياء مثل السرج» صريح في وجودهم النوريّ السابق، وأنّهم مخلوقون قبل خلق الدنيا، كما أنّ قوله: «يذكرونكم عهدي وميثاقي» ظاهر في وجود العباد على الحقيقة لا على التقدير والمجاز؛ إذ لا يصدق التذكر والتذكير من دون هذا.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٩، رقم: ١٥٣٦٣. الرسالة، بيروت.

النبي محمّد ﷺ أوّل مخلوق أقرّ لله يوم الذر

أخرج الإمام محمد بن الحسين الآجري (٣٦٠هـ) في كتابه الشريعة قال: حدثنا أبوعبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا هارون بن عبد الله البزاز، قال: حدثنا شعيب بن حرب قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان قال: حدثنا بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: سألت النبي متى كنت نبياً؟!.

فقال النبي عليه السلام: «كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد»[١].

أقول: إسناد صحيح بإجماع، رجاله رجال الصحيحين. و: «كان» في قوله ﷺ: «كنتُ نبياً» هي التامّة لا الناقصة؛ والمعنى خُلقتُ أو وجدتُ نبياً بأمر الله تعالى.

وقال الإمام أحمد بن محمد الخلال (٣١١هـ) في السنّة: أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني (ثقة حافظ نبيل)، قال: قلت لإسحاق يعني ابن راهويه (الإمام اللامع المشهور، ثقة خ م): حديث ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟!. قال: «وآدم بين الروح والجسد»، ما معناه؟!. قال ابن راهويه: قبل أن تنفخ فيه (في آدم) الروح، وقد خلق (نبينا ﷺ)»[٢].

وأنبه إلى أنّ محدثي أهل السنّة عبر القرون، أحمد بن حنبل وغيره، كلّهم رووه بلفظ: «كُنتُ نبياً». لكن بعض الحشويّة المارقين، عن حدود الإنصاف والدين، حرفوه إلى: كُتبت نبياً. ومقصودهم إثبات كفر النبيّ ﷺ قبل بعثته المقدّسة، تعالى الله ورسوله عمّا يقولون.

---

(١) الشريعة (ت: عبد الله الدميجي) ٣: ١٤٠٧، رقم: ٩٤٥. دار الوطن، الرياض.

(٢) السنة للخلال (عطية الزهراني) ١: ١٨٨، رقم: ٢٠٠. دار الراية، الرياض.

قالوا هذا وهم يزعمون أنّهم حنابلة، مع أنّ أحمد بن حنبل سئل عن حديث: جعلتك أوّل النبيين؟!!. فقال: «جعلتك أول النبيين خلقاً». وسنسرده بعد قليل..

نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله أوّل النبيين عليهم السلام في الخلق

حديث أبي هريرة

أخرجه الإمام محمد بن إسحاق السرّاج (٣١٣هـ) قال: حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن، ثنا حبان بن هلال، ثنا مبارك بن فضالة، حدثني عبيد الله بن عمر، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، عن النبي قال: «لما خلق الله آدم خبر آدم بنيه، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض، قال: فرأى نورا ساطعاً في أسفلهم، فقال: يا رب، من هذا؟!. قال: هذا ابنك أحمد، هو الأول وهو الآخر، وهو أوّل شافع»[1].

قلت: إسناده صحيح على شرط البخاري، رواته على شرط الشيخين سوى مبارك بن فضالة القرشي، وهو ثقة احتج به البخاري ولم يخرج له مسلم.

وقوله: «الأول والآخر» أي الأوّل في الخلق والآخر في البعث؛ يدل عليه..

(١) حديث السرّاج (ت: حسين رمضان) ٣: ٢٣٦. رقم: ٢٦٢٨. الفاروق الحديثة للطباعة.

طريق آخر لأبي هريرة

أخرجه الإمام السني تمام بن محمّد الرازي (٤١٠ هـ) قال: حدثنا أحمد بن سليمان (بن أيوب الأسدي ثقة مأمون)، ثنا يزيد بن محمد (بن عبد الصمد القرشي ثقة)، ثنا أبو الجماهر (محمد بن عثمان التنوخي ثقة)، ثنا سعيد بن بشير (الأزدي، حافظ ثقة صالح، قد يخطأ)، ثنا قتادة (إمام كبير ومفسر مشهور، ثقة خ م)، عن الحسن (البصري، إمام فقيه مشهور ثقة خ م)، عن أبي هريرة، أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وسلم، قال: «كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث»[(١)].

قلت إسناده حسن صحيح، وثمّة طريق آخر، فيه متابعة جيّدة..

طريق ثان لأبي هريرة

أخرجه المحدثون والمفسرون في تفسير الآية، واللفظ لأبي حاتم قال: حدثنا أبو زرعة الدمشقي (الإمام عبد الرحمن بن عمرو، ثقة فوق الوصف)، ثنا محمد بن بكار (العاملي، صدوق)، حدثنا سعيد بن بشير (الأزدي، ثقة حافظ، قد يهم) حدثني قتادة (السدوسي الإمام المفسر الحافظ ثقة، خ م) عن الحسن (البصري فوق الوصف، خ م) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ الآية؟!؟

قال النبي: «كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث، فبدىء بي قبلهم»[(٢)].

---

(١) فوائد تمام الرازي (ت: حمدي السلفي) ٢: ١٥. مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) تفسير أبي حاتم ٩: ٣١١٦، رقم: ١٧٩٥٤. مكتبة نزار السعوديّة.

أقول: إسناده مقبول حسن، وقد توبع رواته أيضاً..

طريق ثالث لأبي هريرة

أخرجه الإمام البزار والطبري (صاحب التفسير، ٣١٠هـ) في التهذيب واللفظ له قال: حدثنا علي بن سهل (الرملي الحرشي، ثقة)، قال: حدثنا حجاج يعني ابن محمد الأعور (المصيصي، ثقة خ م) قال: حدثنا أبو جعفر الرازي (عيسى بن ماهان، ثقة صدوق، بإجماع، لين البعض حفظه) عن الربيع بن أنس (صدوق قد وثق، رمي بالتشيع) عن أبي العالية الرياحي (رفيع بن مهران، ثقة خ م)، عن أبي هريرة، قال في حديث المعراج الطويل:

قال النبي: قال الله تعالى مخاطباً حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله: «...وجعلتك أوّل النبيين خلقاً، وآخرهم بعثاً، وأولهم مقضياً له...»[1].

قال الإمام الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات [2].

جزم قتادة بمعنى الحديث

أخرج الطبري قال: حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبوهلال، قال: كان قتادة إذا تلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾..

قال: «كان نبيّ الله أوّل النبيين في الخلق»[3].

---

(١) تهذيب الآثار للطبري (ت: محمد محمود شاكر) ١: ٤٣٣، رقم: ٧٢٧. مطبعة المدني، القاهرة.

(٢) مجمع الزوائد ١: ٧١، رقم: ٢٣٥. مكتبة القدسي القاهرة.

(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ٢٠: ٢١٣. الرسالة، بيروت.

جزم الإمام أحمد بن حنبل بمعنى الحديث

أخرج الإمام الخلال قال: أخبرني محمد بن الحسين (الحنيني ثقة إمام حافظ)، أنّ الفضل (بن زياد القطان، محدّث أجمعوا على وثاقته) حدّثهم قال: قرأت على أبي عبد الله (كنية أحمد بن حنبل): أبو النضر (جعفر بن مهران السباك، ثقة لا بأس به) قال: ثنا أبو جعفر الرازي (عيسى بن ماهان، ثقة صدوق، بإجماع، لين البعض حفظه) فذكر حديث الأسدي، قال: وذكر مثل ما سقناه عن البزار.

قال الفضل: قال لي أحمد (الإمام ابن حنبل): «أوّل النبيين» يعني: خلقاً قال تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ فبدأ به[1].

جزم الإمام السني إسحاق بن راهويه (٢٨٣هـ) بهذا

قال الإمام الخلال: أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني، قال: قلت لإسحاق يعني ابن راهويه: حديث ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟!. قال: «وآدم بين الروح والجسد» ما معناه؟!. قال: «قبل أن تنفخ فيه (في آدم) الروح، وقد خلق (نبينا ﷺ) »[2].

إسناده صحيح، وهو صريح أنّ نبينا محمد ﷺ قد خلق قبل نفخ الروح في جسد أبينا آدم عليهما السلام.

---

(١) السنة للخلال (ت: عطية الزهراني) ١: ١٨٧. دار الراية، الرياض.

(٢) السنة للخلال ١: ١٨٧، رقم: ٢٠٠. دار الراية، الرياض.

استلام الحجر في الحجّ تجديد لميثاق يوم الذر

أخرج الحاكم قال: حدثنا عبد الصمد بن علي البزاز ببغداد، ثنا جعفر بن محمد بن شاكر، ثنا الحسن بن موسى الأشيب، ثنا ثابت بن يزيد، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله: «إنّ لهذا الحجر لساناً وشفتين، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح[1].

فلقد قال الحاكم مرة أخرى: وقد روي لهذا الحديث شاهد مفسر، غير أنّه ليس من شرط الشيخين، فإنّهما لم يحتجا بأبي هارون، عمارة بن جوين العبدي..

أخبرناه أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى العدل، من أصل كتابه، ثنا محمد بن صالح الكيليني، ثنا محمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ، ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله قبلك ما قبلتك، ثم قبله.

فقال له علي بن أبي طالب: «بلى يا أمير المؤمنين، إنّه يضرّ وينفع» بكتاب الله تبارك وتعالى.

قال عمر: وأين ذلك من كتاب الله؟!. قال عليّ بن أبي طالب: قال الله عز وجل: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ خلق الله آدم، ومسح على ظهره...[2]، فقرّرهم بأنّه الرب، وأنّهم

---

(١) مستدرك الحاكم (مصطفى عبد القادر عطا) ١: ٦٢٨، رقم: ١٦٨٠. العلمية، بيروت.

(٢) هيهنا سقط؛ وهو بشهادة الأخبار المتقدمة والآتية: فاستخرج ذريته من صلبه. أو نحوها.

العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له افتح فاك. قال: ففتح فاه، فألقمه ذلك الرق وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإنّي أشهد لسمعت رسول الله قال: «يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود، وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد» فهو يضر وينفع.

فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن[1].

قلت: قول عمر: إنّي أعلم أنّك حجر لا تضر...، صحيح دون ريب أخرجه مسلم وغيره، بإسناد صحيح من غير طريق أبي هارون، لكن تكلّموا في زيادة أبي هارون، لكونه مضعّف عند أكثرهم، لكنّها مع ذلك صحيحة فيما نحن فيه من عالم الذر، لكثرة الشواهد الماضية والآتية.

وثمة أخبار أخرى في أنّ الحجر ألقم بإذن الله ميثاق العباد يوم الذر، لا يسعها ما نحن فيه، سنعرض لبعضها في أخبارنا الصحيحة..

(١) مستدرك الحاكم (مصطفى عبد القادر عطا) ١: ٦٢٨، رقم: ١٦٨٢. العلمية، بيروت.

حديث: «الشقيُ شقيٌ في بطن أُمّه»

أقول: هذا من الأحاديث التي خبط فيها غير واحد، خبط عشواء، مع أنّ الأمر أيسر من ذلك لمن استقصى الأخبار المسندة إلى نبينا محمد وآله الطيبين. ولقد اشتدّ العجب ممّن خاض في هذا الحديث، وهو بعدُ لم يستقص أخبار أهل البيت عليهم السلام كما يلزم الاستقصاء، في أخطر مسألة عرفتها عقائد السماء، ثمّ زعم انكسار القلم وتوقف الفهم..، والله المستعان..

حديث ابن مسعود

أخرج أهل السنّة كابن أبي عاصم في كتابه السنّة، قال: حدثنا محمد بن المثنى (الزمن ثقة ثبت خ م)، ثنا يحيى بن سعيد القطان (الإمام، فوق الوصف، خ م)، ثنا الأعمش (الإمام سليمان بن مهران، ثقة خ م)، ثنا زيد بن وهب (الإمام القرشي، فوق الوصف خ م)، ثنا عبد الله بن مسعود، ثنا رسول الله، وهو الصادق المصدوق، قال:

«إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يرسل الله تعالى إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فو الذي لا إله غيره إنّ أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النّار، وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل النّار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخل الجنة».

أقول: إسناد صحيح.

حديث ابن عمر، أو ابن عمرو

أخرجه ابن حبّان (٣٥٤) قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا العباس بن الوليد النرسي، حدثنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن الديلمي، قال: دخلت على عبد الله بن عمر (في بعض المصادر بن عمرو بن العاص) فقلت: إنّهم يزعمون أنّك تقول: «الشقي من شقي في بطن أمه»؟!.

فقال: لا أحل لأحد يكذب عليّ، سمعت رسول الله يقول: «إنّ الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضلّ» فلذلك أقول: جفّ القلم عن علم الله جل وعلا.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح[1].

وثمّة أحاديث أخرى، لا يهمنا سردها، يضيق عنها مقامنا، وأياً كان فما فقه هذا الحديث؟!!.

---

(١) صحيح ابن حبّان (ت: الأرنؤوط) ١٤: ٤٣، رقم: ٦١٦٩. الرسالة، بيروت.

فقه حديث: «الشقيُ من شقيٌ في بطن أمّه...»

ننبّه إلى أنّ هذا الحديث الشريف يضمّ نظاماً كاملاً من العقيدة؛ ولا يمكن تفسيره بتمام، أو الوقوف على مرافئه كنظام، من دون الإلمام، بكلّ ما وصلنا – في أركانه – عن سادة الأنام، نبيّنا محمد وأهل بيته الكرام ﰈ، ولا أقلّ من استيعاب أهمّ ما قالوه (صلوات الله عليهم)؛ إذ لا ينبغي الاغترار بالحديث الواحد والاثنين والثلاث...؛ فهذا استرواح منهيٌّ عنه، وهل حلّت المصائب إلاّ بهذا؟!!.

وأياً كان فإنّه تتبادر إلى الأذهان من هذا الحديث شبهة عظيمة؛ إذ كيف يجفّ القلم – عن علم الله تعالى – هكذا مع أنّ نتيجته الجبر؛ إذ أين اختيار العبد من كلّ هذا؟!!. بل ما الدليل على أنّ العبد كان مختاراً للطاعة، مستطيعاً لها، قادراً عليها..؛ مؤهلاً على اتّباع الرسل وتلاوة الصحف والكتب؟!!.

فإنّ ظاهر الحديث أعلاه أنّ السعادة والشقاوة، قد كتبتا على العباد في بطون الأمهات، في هذا العالم الأرضي وليس قبل ذلك.

قلت: وهو خطأ وقع في حفرته غير واحد من الأعلام، فلقد مضى منّا أنّ تعلق الشقاوة والسعادة في بطون الأمهات، إنّما هو تعلّق تدبير وأسباب بتوسيط: ﴿المدبرات أمراً﴾ وهم الملائكة المدبّرون شؤون عالم الطين بإذن رب العالمين، فحتى الموت، قد قضى الله تعالى أن لا يتحقق إلاّ بتوسيط عزرائيل ﮥ، وكذا المطر والزرع وغير ذلك؛ إذ الغرض ابتلاء العباد هكذا، على ما أشرنا سابقاً..

إذ قد مضى صحيحاً أنّ القلم قد جفّ – عن علم الله تعالى – في عالم الذر والتقدير، قبل خلق الأصلاب والأرحام، بل قد مضى صحيحاً أنّ الله تعالى قد قدر مقادير الخلائق قبل خلق الدنيا بخمسين ألف سنة.

إشكال لغوية خلق الدنيا ؛ فلقد جفّ القلم قبلها؟!؟

إذا كان القلم قد جفّ، لـمّـا قدر الله سبحانه وتعـالى المقـادير، قبـل خلـق الـدنيا بخمسين ألف سنة، أو يوم الذر، عـن علـم الله، في أهـل الجنّـة السـعداء، وأصـحاب النّار الأشقياء؛ فما الغرض من إنزالهم إلى الدنيا، أليس هذا لغو؟!.

دفع الإشكال

قال جماعة من العلماء في دفعه: ليحتجّ الله تعالى على عباده..؛ قال وهو خير القائلين: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1]، ونحو ذلك.

قلت: هذا الجواب صحيح في نفسه، لكنّه لا يمنع من السقوط في حفرة الجبر، كما لا يدفع شبهة ظلم الله للعباد؛ فهاتان الشبهتان لا تندفعان بالجواب أعلاه، ناهيك عن شبهة اللغويّة؛ ضرورة أنّ الله تعالى قد احتجّ على العباد بما ألهمهم به وفطرهم عليه دون شبهة؛ بأبلغ حجّة؛ بل الأشهر الأظهر الأقوى أنّه سبحانه قد كلمّ عباده وكلّموه يوم الذر دون حجاب، واختبرهم ففاضل بينهم بالعدل دون ارتياب..!!!.

ذهب بعض كبار أهل السنّة إلى أنّ الجواب أعلاه لا ينبغي الإصغاء إليه، والمقام لا يسمح بالتطويل، لكن - باختصار - لا مخرج من الشبهات أعلاه إلاّ القول بعقيدة البَداء. والملفت للنظر أنّ هناك من علماء أهل السنّة من دفع الإشكال أعلاه بالبداء، ربما بغير دراية منهم أنّه البداء الذي تديّنت به الشيعة - أنار الله برهانهم -..

فموجز ما ذكره أهل البيت عليهم السلام في دفع الإشكال هو أنّ الله تعالى قد أنزل العباد إلى الدنيا؛ ليمحو بعض أشقيائهم من ديوان الأشقياء، ليكتبهم في ديوان السعداء، ولا عكس.

وسيأتي بيان هذا ببسط وتفصيل، كما أخبرناك مراراً، في رسالتنا القادمة البداء إذا شاء الله.

---

(١) سورة النساء: ١٦٥.

كل مولود يولد على الفطرة

أخـرج البخـاري قـال: حـدثنا عبـدان، أخبرنـا عبـد الله، أخبرنـا يـونس، عـن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أنّ أبا هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: «ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة...»(١).

وأخرج الطبري قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى (ثقة، م)قال: أخبرنا ابن وهب (الإمام ثقة، خ م) قال: أخبرني السري بن يحيى (بن إياس الشيباني ثقة)، أن الحسن بن أبي الحسن (بن يسار البصري، ثقة إمام خ م)، حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد (صحابي) قال: غزوت مع رسول الله أربع غزوات. قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله، فاشتد عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يتناولون الذرية»؟!. فقال رجل: يا رسول الله، أليسوا أبناء المشركين؟!.

فقال عليه السلام: «إنّ خياركم أولاد المشركين..؛ ألا إنّها ليست نسمة تولد إلاّ ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها» قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه، قال: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾(٢).

أقول: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، سوى السري وهو محدث ثقة لم يخرجا له؛ أي لم يخرج له الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وأخرج الطبري قال: حدثني علي بن سهل (الرملي محدث ثقة بإطلاق)قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة (الفلسطيني ثقة مأمون) قال: حدثنا أبو مسعود (سعيد بن

---

(١) صحيح البخاري (ت: زهير الناصر) ٢:٩٥،رقم: ١٣٥٩. دار طوق النجاة.
(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣١، رقم: ١٥٣٥٣. الرسالة، بيروت.

إياس الجريري، ثقة خ م)، عن جويبر (بن سعيد البلخي، ضعيف الحديث) قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم (ثقة يرسل)، ابن ستة أيام قال: فقال: يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده، فأبرز وجهه، وحل عنه عقده، فإن ابني مُجلَس ومسئول ففعلت به الذي أمرني، فلما فرغت، قلت: يرحمك الله، عمّ يسأل ابنك، من يسأله إياه؟!.

قال: يُسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام. قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم؟!. قال: حدثني ابن عباس أنّ الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وتكفل لهم بالأرزاق، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ؛ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يفِ به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة[1].

أقول: لا بأس بإسناده في المتابعات، والحديثان ظاهران في الاختيار وانتفاء الجبر، إذ افتراض الجبر مع الفطرة، جمع بين نقيضين، وهو محال.

والزبدة: فالفطرة موجودة حتى عند الكفّار والمشركين، بل حتى الطواغيت والمجرمين، ولا كلام في أنّها محرّكة إلى الخير زاجرة عن الشرّ؛ يدلّ على هذا في الوجدان أنّ نفس الطواغيت الجبابرة، المجرمين في الدنيا والآخرة، يمتدحون الخير وأهله، ويذمون الشرّ وجلاوزته؛ ولا معنى له إلاّ أنّهم فطروا على ذلك.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٠، رقم: ١٥٣٥٢. الرسالة، بيروت.

قال الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ قال: الإسلام مُذ خلقهم الله من آدم جميعاً، يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ قال: فهذا قول الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾[1].

وأخرج الطبري قال: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾ قال: الإسلام.

وأخرج ثالثاً قال: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ﴿فطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ قال: الإسلام[2].

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)٢٠: ٩٧، رقم: ١٥٣٥٢. الرسالة، بيروت.
(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)٢٠: ٩٧، رقم: ١٥٣٥٢. الرسالة، بيروت.

تعريف الفطرة؟!

تعني الفطرة – فيما تعني –: القوة (أو المَلَكة) التي أودعها الله تعالى في بني آدم؛ لمعرفة الخالق والخير والشرّ.

وبالجملة: فكلّ نسمة مفطورة على معرفة الخالق سبحانه وتعالى، والتمييز بين ما هو خير وما هو شرّ، قد جبلت على هذا، وهو مرمى الحديثين أعلاه في تفسير الفطرة بالإسلام.

ثمّ إنّ هذه الأخبار، حسب القواعد المجمع عليها، حاكمة أو واردة (مقدّمة) على كلّ أحاديث الشقاوة والسعادة وما ظاهره الجبر؛ إذ أي جبر يبقى لأهل الشقاوة وهم مفطورون على التوحيد والإسلام ومعرفة الخالق؛ فاحفظ..، وممّا يناسب المقام..

أهل النّار نقضوا عهدهم يوم الذر

حديث أبيّ بن كعب الصحيح

روى الطبري قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: «جمعهم يومئذ جميعاً، ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثمّ استنطقهم، وأخذ عليهم الميثاق ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾.

قال سبحانه: «فإنّي أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم: أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا..؛ اعلموا أنّه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وأنّي سأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، وسأنزل عليكم كتبي».

قالوا: شهدنا أنّك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك؛ فأقرّوا له يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم، فنظر إليهم، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: رب لولا ساويت بينهم، قال تعالى: فإنّي أحب أن أُشكر.

قال: وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج (جمع سراج). وخص الأنبياء بميثاق آخر قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ وهو الذي يقول تعالى ذكره:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفي ذلك قال: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ قال: كان في علمه يوم أقرّوا به، من يصدق ومن يكذب.

قال: أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[١].

قلت: اتفق أهل السنة على كونه صحيح الإسناد؛ ولقد أخرجه الحاكم النيسابوري والبيهقي وغيرهما واللفظ للحاكم، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا أبو جعفر عيسى بن عبد الله بن ماهان، عن الربيع بن أنس، به مثله. وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح[٢].

قلت: وهو نص صريح في إثبات عالم الذر، وخلق الأرواح الناطقة قبل الأجساد؛ سيما قوله: «استنطقهم» و: «فأقرّوا له يومئذ بالطاعة، ورفع عليهم أباهم آدم، فنظر إليهم... ».

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر) ١٣: ٢٣٩، رقم: ١٥٣٦٣. الرسالة، بيروت.

(٢) مستدرك الحاكم (ت: مصطفى عبد القادر) ٢: ٣٥٣، رقم: ٣٢٥٥.العلمية، بيروت.

مرسل الإمام المفسِّر أبي العالية

أخرج ابن أبي حاتم (٣٢٧) قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي (ثقة)، ثنا بشر بن عمر الزهراني (ثقة خ)، ثنا معتمر بن سليمان (التميمي، ثقة خ م)، عن أبيه (سليمان بن طرخان التميمي، ثقة خ م)، عن الربيع بن أنس (البكري ثقة صدوق)، عن أبي العالية (رفيع بن مهران الرياحي، ثقة مفسر إمام) في قوله تعالى: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ ؟!!.

قال أبو العالية: هو ذلك العهد يعني يوم أخذ الميثاق[1].

أقول: مرسل إسناده صحيح. وهو دليل لإثبات عالم الذر؛ إذ العهد لا يتصور فيه الجبر؛ لكونه مفاعلة بين طرفين، تاميّ الاختيار، وإلاّ فليس هو بعهد.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (أسعد الطيب) ٥: ١٥٣٠، رقم: ٨٧٨١. مكتبة نزار، السعودية.

مرسل الإمام المفسِّر السدي

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم (ثقة خ م) فيما كتب إلي، ثنا أحمد بن المفضل (القرشيّ، صدوق رمي بالتشيع)، ثنا أسباط (بن نصر الهمداني، ثقة صدوق خ م)، عن السدي (الإمام المفسّر إسماعيل بن عبد الرحمن، ثقة رمي بالتشيع، م) في قوله تعالى: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل﴾ قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً [١].

أقول: إسناده حسن، وقوله: كرهاً؛ أي كراهيةً منهم. يدل عليها ما أخرجه الطبري عن السدي نفسه من طريق آخر، بهذا اللفظ.

أخرج الإمام الطبري في تفسيره قال: حدثنا ابن وكيع (سفيان الرؤاسي، ثقة مقبول، تكلّم في حفظه خ م) قال: حدثنا عمرو بن طلحة (القنّاد، ثقة مأمون م)، عن أسباط، عن السدي قال: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾، وذلك حين يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وذلك حين يقول: ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوشَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ قال: يعني: يوم أخذ منهم الميثاق، ثمّ عرضهم على آدم عليه السلام [٢].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (أسعد الطيب) ٥: ١٥٣٠، رقم: ٨٧٨٠. مكتبة نزار، السعودية.

(٢) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)١٣: ٢٤٢. رقم: ١٥٣٧١. الرسالة، بيروت.

مرسل الإمام المفسِّر مجاهد

وأخرج الطبري أيضاً قال: حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿ما وجدنا لأكثرهم من عهد...﴾ قال: عهده الذي أخذه من بني آدم، في ظهر آدم، ولم يفوا به[1].

أقول: إسناده حسن.

وقوله تعالى: ﴿أسلم طوعاً وكرهاً﴾ باعتبار الفطرة، ولقد قال بعض العلماء: لو كان ثمّة جبر فهو جبر على المعرفة والتسليم لله وتوحيده، لا على الجهل والكفر والشرك؛ لظهور الآية في هذا..

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)١٢: ٨. رقم: ١٤٩٠٦. الرسالة، بيروت.

قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «كلٌ ميسّرٌ لما خلق له»

ألمحنا إلى معنى هذا الحديث الشريف سابقاً، وهو فيما نوهنا من الأحاديث الثابتة، التي عدّها أكثر العلماء، سيما بعض أهل السنّة، من المشكلات بل العويصات، وليس الأمر كذلك لو كانوا قد وقفوا على ما كان تاماً من الأحاديث المروية عن محمد وآل محمد عليهم السلام..؛ فلقد لاحظنا أنّهم لا يعرضون بالشرح إلاّ لما كان مبهماً من ألفاظه، أو مبتوراً في متنه، فهاك ما كان تاماً منه عن أهل البيت عليهم السلام كالآتي..

أخرج أحمد قال: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليّ بن أبي طالب، قال: «كان رسول الله ذات يوم جالساً، وفي يده عود ينكت به، قال: فرفع رأسه فقال: ما منكم من نفس إلاّ وقد علم منزلها من الجنة والنار» قال: فقالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟!. قال: «اعملوا، فكلٌّ ميسرٌ لما خلق له».

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين[1].

قلت: قوله صلى الله عليه وآله: «اعملوا، فكلٌّ ميسرٌ لما خلق له» كما ذكرنا كثيراً، ممّا قد تخبّط فيه غير واحد من العلماء؛ فلقد توهموا أنّ معنى الحديث مقتصرٌ على أنّ الله تعالى: يسّر أهل الجنة لعمل الخير، وفي المقابل يسّر أهل النّار لعمل الشر.

قلت: هذا التفسير وإن كان صحيحاً في نفسه، إلاّ أنّ الاقتصار عليه واه سخيف؛ إذ هو تفسير أهل الجبر النافي لاختيار العباد..؛ لكن لا خير في مرام كلّ

---

(١) مسند أحمد (ت: الأرنؤوط) ٢: ٥٦، رقم: ٦٢١. الرسالة، بيروت.

كلام، لا يصدر عن أهل البيت الكرام عليهم السلام؛ فهاك ما يميط اللثام من بيان العِظام سادة الأنام ..

تفسير إمامنا موسى الكاظم عليه السلام لهذا الحديث

أخرج الصدوق رضي الله عنه قال: حدثنا الشريف أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدثنا علي بن محمد ابن قتيبة النيسابوري، عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه؟!.

فقال عليه السلام: «الشقي من علم الله وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمّه أنّه سيعمل أعمال السعداء».

قلت له: فما معنى قوله صلى الله عليه وآله: «اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق الله»؟!.

فقال إمامنا الكاظم عليه السلام: «إنّ الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه، ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فيسّر كلاً لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على الهدى»[2].

أقول: إسناده صحيح؛ وهو نصّ صريح فصيح أنّ العبادة والطاعة، ميسّران للأشقياء كما للسعداء، لا كما حسب أهل الجهل؛ إذ..

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) توحيد الصدوق: ٣٥٦. باب السعادة والشقاوة.

التيسير مركّب من تيسيرين

التيسير الأوّل: الله تعالى يسّر كلّ عباده، شقيهم وسعيدهم، لطاعته وعبادته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وهو ظاهر من استدلال مولانا الكاظم عليه السلام. والغرض منه نفي الجبر؛ لاستحالة تكليف الله عباده بالعبادة وهم مجبورون على الكفر والشقاوة.

التيسير الثاني: التيسير للمعصية لمن اختارها من الأشقياء؛ فالمعصية وإن كانت باختيار العبد، لكنّها لا تقع إلاّ بإذنه تعالى، لا تخرج عن سلطانه، فانتفى التفويض – وهو قول قدريّة هذه الأمّة – إلى يوم القيامة.

قلت: مجموعهما هو تفسير الحديث، لا ما تقشعرّ منه الأبدان، من أنّ الله تعالى قد يسّر فقط الشقاوة لأهل النّار من دون محو ولا بداء، ممّا هو ظلم صريح، وجبر قبيح، وتكذيب لعشرات الآيات التي فيها: ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ وغيرها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

كلمة الإمام السنّي ابن حجر العسقلاني في هذا!!

ولقد أجاد الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في قوله: وهذا الحديث، أصل لأهل السنة في أنّ السعادة والشقاء بتقدير الله القديم، وفيه رد على الجبرية؛ لأنّ التيسير ضد الجبر؛ لأنّ الجبر لا يكون إلاّ عن كره، ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير...، وفي أحاديث هذا الباب أن أفعال العباد وإن صدرت عنهم، لكنّها قد سبق علم الله بوقوعها بتقديره؛ ففيها بطلان قول القدرية صريحاً[1].

قلت: وهو صريح فيما قلناه؛ إذ نفس لفظ يسّر، كما صرّح ابن حجر العسقلاني، ينفي الجبر نهائياً؛ فتمسّك.

وفي تبيان معنى الجبر وأنّه على قسمين، وكذا قسمي التفويض، ثمّ الانتصار للأمر بين الأمرين، بسط لا يحتمله المقام، تضيق عنه بعض الأفهام، إلاّ من اغترف غرفة من بحر سادة الأنام، أهل البيت الكرام عليهم السلام ..، ولعلنا نكتب فيه؛ أي في مسائل القضاء والقدر، رسالة موجزة إذا أَذن الله تعالى..

(١) فتح الباري ١١: ٤٩٧.

الفصل الثاني
عالم الذر
في مرويات الشيعة أنار الله برهانهم

لابد من الإشارة إلى أنّ بعض علمائنا قد أنكر عالم الذر؛ بمعنى أنّه أنكر خلق الأرواح قبل خلق الدنيا، وإنّما – فيما قالوا – خلقها سبحانه مع الأجساد في هذه الدنيا..، فهذا معنى الإنكار، فلا ينصرف ذهنك لغيره.

الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) منكر لعالم الذر، وعلّة ذلك!!

قال (رضوان الله تعالى عليه وطيب ثراه): فأمّا الأخبار التي جاءت بأنّ ذرية آدم عليه السلام استنطقوا في الذر فنطقوا، فأخذ عليهم العهد فأقرّوا؛ فهي من أخبار التناسخية، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق بالباطل....

فإن تعلق متعلق بقوله تبارك اسمه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فظنّ بظاهر هذا القول تحقق ما رواه أهل التناسخ والحشوية والعامة في إنطاق الذرية وخطابهم، وأنّهم كانوا أحياء ناطقين!!.

فالجواب عنه: إنّ هذه الآية من المجاز في اللغة؛ كنظائرها ممّا هو مجاز واستعارة، والمعنى فيها: أنّ الله تبارك وتعالى أخذ من كلّ مكلف يخرج من ظهر آدم وظهور ذريته، العهد عليه بربوبيته؛ من حيث أكمل عقله، ودله بآثار الصنعة على حدوثه، وأنّ له محدثاً أحدثه لا يشبهه، يستحق العبادة منه بنعمه عليه، فذلك هو أخذ العهد منهم، وآثار الصنعة فيهم هو إشهاده لهم على أنفسهم بأنّ الله تعالى ربهم....[1].

---

(١) المسائل السرويّة للمفيد قدس سره (ت: صائب عبد الحميد): ٤٦. دار المفيد.

ردّ الشيخ الطوسي قدس سره

قال رضي الله عنه – بعد أن سرد اعتراضات المنكرين –: وهذا خلاف الظاهر، وخلاف ما عليه جميع المفسرين؛ لأنّ الكلّ قالوا: ﴿شهدنا﴾ من قول من قال: ﴿بلى﴾ وإن اختلفوا في كيفية الشهادة على أنّ الملائكة لم يجر لها ذكر، فكيف يكون ذلك إخباراً عنهم[١].

رد صدر المتألهين (قدس سره) على المنكرين

قال في كتابه العرشيّة: للنفس الآدميّة كينونة سابقة على البدن...، والروايات في هذا الباب من طرق أصحابنا لا تحصى كثرة، حتى أنّ كينونة الأرواح قبل الأجساد، كانت من ضروريات مذهب الإماميّة (رضوان الله عليهم)[٢].

ردّ الحرّ العاملي (رضوان الله عليه) على المنكرين

قال (رضوان الله عليه): الأحاديث في ذلك كثيرة جداً، قد تجاوزت حد التواتر، تزيد على ألف حديث موجودة في جميع كتب الحديث، وربما ينكرها بعض المتكلّمين من أصحابنا؛ لدليل ضعيف ظني، غير تام، يظهر من الأحاديث جوابه، بل لا تعجز عن جوابه الأطفال، فلا يقاوم الآيات القرآنية والروايات المتواترة [٣].

---

(١) التبيان للطوسي ٥: ٣٠.

(٢) العرشيّة لصدر المتألهين:٢٣.

(٣) الفصول المهمّة (ت: محمد القائيني) ١: ٤٢٥. باب: الله كلف الخلق في عالم الذر. نكين، قم.

رد العلامة المجلسي ﵀ على المنكرين

قال (رضوان الله عليه): طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة، جرأةٌ على الله وعلى أئمة الدين، ولو تأملت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم، وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة، لعرفت أنّ بأمثالها لا يمكن الاجتراء على طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة، الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها، وقد أوردنا الأخبار الدالة على تقدم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم من كتابنا الكبير (بحار الأنوار) وتكلمنا عليها هناك[١].

تصريح صاحب الميزان ﵀ بحصول التواتر المعنوي

قال﵀: وقد روى حديث الذر كما في الرواية، موقوفة وموصولة، عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ كعليّ ﵇، وابن عباس، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وسلمان، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمان بن قتادة، وأبي الدرداء، وأنس، ومعاوية، وأبي موسى الأشعري.

كما روي من طرق الشيعة عن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، والحسن بن علي العسكري، ﵈، ومن طرق أهل السنة أيضاً عن علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد ﵈، بطرق كثيرة..؛ فليس من البعيد أن يدّعى تواتره المعنوي[٢].

---

(١) مرآة العقول٧: ٤٤. بحار الأنوار ٥: ٢٦٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٨: ٣٢٩.

الشيخ الصدوق رضي الله عنه يثبت عالم الذر

قال رضوان الله تعالى عليه في الاعتقادات: اعتقادنا في النفوس، أنّها هي الأرواح التي بها الحياة، وأنّها الخلق الأول؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ أوّل ما أبدع الله سبحانه وتعالى، هي النفوس المقدسة المطهرة، فأنطقها بتوحيده، ثمّ خلق بعد ذلك سائر خلقه»[١].

كما قد قال (رضوان الله تعالى عليه) في الهداية: ويجب أن يعتقد أنّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة (صلوات الله عليهم)، وأنّهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾. وبعدهم الأنبياء عليهم السلام، وأنّ الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله إلى الأنبياء عليهم السلام في الذر، وأنّ الله أعطى ما أعطى كلّ نبي على قدر معرفته نبينا صلى الله عليه وآله، وسبقه إلى الإقرار به[٢].

رد التقي المجلسي على المعتزلة المنكرين

قال (رضوان الله عليه): إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي ذكرها البرقي، والصفار، والكليني (رضي الله عنهم)، وهذه موافقة للآيات التي لا يمكن ردها كما قال تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ الله مِيثاقَ النَّبِيِّينَ﴾.

---

(١) اعتقادات الإماميّة للشيخ الصدوق (ت: عصام السيد): ٤٧. دار المفيد.

(٢) الهداية للصدوق قدس سره: ٢٦. اعتماد، قم.

فذهب جماعة من المعتزلة – لعنهم الله –، إلى رد الآيات والأخبار الكثيرة؛ لمخالفتها لعقولهم الضعيفة الباطلة، ونفوا وجود المجردات والملائكة والجن، وتقدم الأرواح على الأبدان، بأنّ ذلك مذهب أهل التناسخ، ويستلزم وجود الشريك للباري جلّ جلاله في التجرد، وأوّلوا الآيات والأخبار بتأويلات أقبح من الرد(١).

قلت: المعتزلة المعنيّون باللعن، مذهب انقرض، وهم غير معتزلة اليوم من إخواننا المسلمين – هداهم الله –(٢).

ردنا على إنكار الشيخ المفيد ﷺ

قلت: واضح أنّ شيخ مشايخنا المفيد (رضوان الله عليه) إنّما أنكر وجود الأرواح قبل الأبدان، لطرو شبهة المعتزلة الأوائل في التناسخ، فلمّا لم يجد لها مخرجاً، أنكر عالم الذر!!.

وهذا عجيب منه (طيّب الله ثراه)؛ إذ إثبات عالم الذر؛ أي وجود الأرواح، قبل خلق الدنيا، ليس من عقيدة التناسخ الباطلة في شيء أبداً؛ ضرورة أنّ التناسخ الذي أجمعت الشرائع على بطلانه هو ما أدّى إلى إنكار البعث والقيامة والجنّة والنار..

إذ التناسخ الباطل بإيجاز: هو انتقال الروح الإنسانيّة من بعد الموت إلى بدن آخر، إنسان أو حيوان أو شجر، في نفس هذه الدنيا، حسب صلاحه أو طلاحه، فلا قيامة عندهم ولا آخرة، ولا جنّة ولا نار.

---

(١) روضة المتقين ١٣: ٢٢٤.

(٢) سيأتي عن قريب الفرق بين هؤلاء المعتزلة الملعونون وباقي فرق المعتزلة فانتظر.

هذا هو التناسخ الباطل الذي أجمعت الشرائع على بطلانه؛ ولا أدري ما علاقته بعالم الذر وخلق الأرواح قبل الأجساد.

وننبه أنّ المعتزلة الملعونين قالوا: إنّ الشرور خارجة عن سلطان الله وقدرته وإرادته سبحانه؛ وكيفما قلبنا هذا الكفر؛ فنتيجته وجود مصدر ثان غير الله، هو من يأذن بصدور الشرور، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً؛ ولهذا ورد فيهم النص النبوي المتواتر عند الفريقين سنة وشيعة: «القدريّة مجوس هذه الأمّة» إذ المجوس يقولون بإلهين؛ واحد تصدر منه الشرور، والآخر الخيرات.

وأما معتزلة اليوم، فليس في كلماتهم أنّ الشرور خارجة عن سلطان الله تعالى، أو أنها تقع من العبد من دون إذنه سبحانه، غاية ما قالوه أنّ الشرور تقع بإذن الله تعالى حدوثاً لا بقاءً، وهذا خطأ كبير منهم، لكنه لا يوجب خروجهم عن الدين ..

إذا اتضح هذا، فهاك الأخبار الصحيحة الصريحة الفصيحة عن أهل بيت الطهارة والعصمة عليهم السلام في إثبات عالم الذر، وأنّ الأرواح خلقت قبل الأجساد، وأكثرها أخرجه أهل السنة في مسانيدهم لفظاً أو معنىً..، على ما مرّ ممّا سردناه بعجالة في الفصل الأوّل، ممّا كاد أن يكون متواتراً عندهم؛ فهاك الآتي عن أهل البيت عليهم السلام في مسائل ..

المسألة الأولى

معاينة الخلق لربهم يوم الذر

صحيح زرارة عن الباقر عليه السلام

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ قال عليه السلام: الحنيفية من الفطرة ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ فطرهم على المعرفة به.

قال زرارة: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾.

قال عليه السلام: «أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه»، وقال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولود يولد على الفطرة، يعني المعرفة بأنّ الله عز وجل خالقه، كذلك قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾»[1].

أقول: إسناده حسن صحيح، دون أدنى كلام من أحد الأعلام.

وقوله عليه السلام: «فطرهم على المعرفة به» نصّ ظاهر في نفي الجبر إلى الأبد؛ إذ افتراض أنّ الله تعالى أجبر الكافر على الكفر به، مع أنّه سبحانه فطرهم على معرفته وتوحيده، محال للجمع بين النقيضين، وكذا هو محال للسفه؛ إذ إجبارهم على الكفر

(١) الكافي ٢: ١٣. رقم: ٣. باب فطرة الخلق على التوحيد.

مع أنّه فطرهم على توحيده وعبادته ومعرفته، سفه، وهو محال في فعل الله الحكيم العليم سبحانه.

وقوله: «وأراهم نفسه» نص صريح في الوجود الحقيقي لا التقديري لبني آدم، وعجبٌ ممّن أنكر عالم الذر مع هذا النص الصحيح الصريح.

وننبّه أنّ الرؤية هيهنا رؤية قلب وانكشاف، لا بصرٌ بآلة؛ لاستحالة الثاني فيما هو معلوم ضرورة؛ بل قد ورد بلفظ: «أراهم صنعه» بدل: «نفسه»، وسيأتي قريباً..

صحيح آخر لزرارة عن الصادق عليه السلام

أخرج البرقي في المحاسن عن أبيه، عن فضاله بن أيوب، عن جميل بن دراج، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾؟!.

قال عليه السلام: «كان ذلك معاينة لله، فأنساهم المعاينة وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحدٌ خالقه ولا رازقه، وهو قول الله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾»[1].

أقول: إسناده حسن صحيح. والمعاينة، معاينة قلب وانكشاف فيما قلنا؛ يدلّ عليه..

---

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٨١، رقم: ٤١١. باب بدء الخلق.

معتبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام

وروى الصدوق قدس سره: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي (الأسدي ثقة)، قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي (ثقة بالتوثيق العام)، عن الحسين بن يزيد النوفلي (ثقة بالتوثيق العام)، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟!.

قال عليه السلام: «نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة». فقلت: متى!.

قال عليه السلام: «حين قال لهم: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ ...، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون»[1].

قلت: إسناده قويّ معتبر، بل صحيح على الأقوى؛ فقدماء أصحابنا لم يرووا عن عليّ بن أبي حمزة البطائني من بعد انحرافه - لعنه الله -، على الأظهر الأقوى، فلاحظ!!.

والحديث ظاهر في وجود الأرواح قبل الأجساد. كما أنّ الخبر نصّ أنّ رؤية الله سبحانه ومعاينته، إنّما هي بالقلب لا بالآلة البصريّة، فلا ترتبك.

ويقوى أن يكون المقصود: رؤية صنع الله وقدرته، ومعاينة نور عظمته، وبهاء جلاله..؛ يدلّ عليه ما سيأتي في المسألة الآتية..

والأخبار في ترائي الله تعالى لعباده يوم الذر كثيرة..

---

(١) توحيد الصدوق. باب ما جاء في الرؤية.

منها ما رواه الكليني بإسناد صحيح على الأقوى عن بكير بن أعين، قال: قال الصادق عليه السلام: «وفي ذلك المكان تراءى لهم» أي عند الحجر الأسود في الكعبة المقدّسة، وسيأتي تحت عنوان حديث جامع.

وسيأتي ما يدلّ على ما نحن فيه في المسألة الثالثة، فارتقب.

وقد تقدّم في الفصل الأوّل مثله عن ابن عباس وغيره بأسانيد جياد، فتذكر واجمع..، ويدلّ عليه أيضاً..

حديث آدم وداود عليهما السلام في الذر

روى الكليني عن العدة، عن أحمد البرقي، عن أبيه، عن خلف بن حماد، عن عبد الله بن سنان قال: سأل ابن شبرمة القاضي الصادق عليه السلام قال: ما تقول عن أول كتاب كتب في الأرض؟!.

قال عليه السلام: «نعم إنّ الله عز وجل عرض على آدم عليه السلام ذريته عرض العين، في صور الذر، نبياً فنبياً، وملكاً فملكاً، ومؤمناً فمؤمناً، وكافراً فكافراً، فلما انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الذي نبأته وكرمته وقصرت عمره؟!. فأوحى الله عز وجل إليه هذا ابنك داود عمره أربعون سنة، وإنّي قد كتبت الآجال، وقسّمت الأرزاق، وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندي أم الكتاب، فإنْ جعلت له شيئاً من عمرك ألحقت له. قال آدم: يا رب قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة. فقال الله عز وجل لجبرئيل وميكائيل وملك الموت: اكتبوا عليه كتاباً فإنّه سينسى. فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين، فلماّ حضرت آدم الوفاة، أتاه ملك الموت فقال آدم: يا ملك الموت ما جاء بك؟!. قال: جئت لأقبض روحك. قال آدم: قد بقي من عمري ستون سنة. فقال ملك الموت: إنّك جعلتها لابنك داود. ونزل عليه جبرئيل وأخرج له الكتاب».

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فمن أجل ذلك إذا خرج الصك على المديون ذلّ المديون فقبض روحه» [1].

قلت: إسناده صحيح دون كلام. وهو نص في المعاينة.

---

(١) الكافي . باب أول صك كتب في الأرض.

المسألة الثانية

أخبار ساداتنا عليهم السلام في الذر والفطرة؟!!

صحيح زرارة عن الباقر عليه السلام

أخرج الصدوق (رضوان الله عليه)، في كتابه التوحيد قال: حدثنا أبي (رحمه الله)، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب ويعقوب بن يزيد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ وعن الحنيفية؟!. فقال عليه السلام: «هي الفطرة ﴿التي فطر الله الناس عليها﴾ فطرهم الله على المعرفة».

قال زرارة رضي الله عنه: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم﴾ قال عليه السلام: «أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر، فعرفهم وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة. يعني على المعرفة بأنّ الله عز وجل خالقه، فذلك قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾»[1].

أقول: إسناده صحيح دون كلام.

---

(١) التوحيد الصدوق: ٣٣١. باب معنى استوى على العرش.

وقوله عليه السلام: «أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة...» نص أنّهم خرجوا كلّهم دفعة واحدة قبل خلق الأجساد. وقوله: «وأراهم صنعه» تفسير جليّ لما رواه زرارة رضي الله عنه في المسألة الأولى: «وأراهم نفسه» فهو إمّا تصحيف وإمّا أنّ المعنى أراهم آثار عظمته.

صحيح عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام

أخرج الكليني في الكافي عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ ما تلك الفطرة؟!.

قال عليه السلام: «هي الإسلام؛ فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد؛ قال:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ وفيه المؤمن والكافر»[1].

أقول: إسناده حسن صحيح، رجاله ثقات دون كلام، لكن هناك من تكلّم فيما يسنده محمد بن عيسى اليقطيني عن يونس بن عبد الرحمن (رضوان الله عليهما)، ولا بيّنة في هذا.

والخبر نصّ أنّ الفطرة هي الإسلام، كما قد صحّ في أخبارنا أيضاً أنّ الفطرة تعني التوحيد؛ ضرورة أنّ حقيقة الإسلام هو التوحيد الخالص الذي جاء به آدم ونوح وإبراهيم ومحمّد صلى الله عليه وآله..؛ يدلّ عليه..

(١) الكافي ٢: ١٢، رقم: ٢. باب فطرة الخلق على التوحيد.

ما أخرجه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾؟!!. قال عليه السلام: «التوحيد»[1].

أقول: إسناده حسن صحيح حجّة دون كلام. ولا منافاة.

(١) الكافي ٢: ١٢، رقم: ١. باب فطرة الخلق على التوحيد.

الله فطر الخلق جميعاً على التوحيد..

يدل عليه ما رواه محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «فطرة الله التي فطر الناس عليها؟!.

قال عليه السلام: «فطرهم جميعاً على التوحيد»[١].

قلت: إسناده صحيح دون كلام.

وهو نص أنّ الله فطر قاطبة بني آدم على التوحيد ومعرفة الربّ، لا بعضهم دون آخر، فلا مجال لافتراض أنّ الله أجبر بعضهم على الكفر والشقاوة؛ لاجتماع النقيضين المحال.

---

(١) الكافي ٢: ١٢، رقم: ٢. باب فطرة الخلق على التوحيد.

معنى الفطرة في أخبارهم عليهم السلام ؟!!!

ورد في أخبارنا الصحيحة أنّ الفطرة ملكة (قوّة) مجعولة في ذات الإنسان، بها يعرف خالقه تعالى، وما هو خير وشرّ. ولا ينافي ما مضى أنّها التوحيد أو الإسلام؛ ضرورة أنّ العلاقة بينهما هي علاقة السبب بالنتيجة؛ فبهذه القوّة يعرف العبد ربّه ليكون على التوحيد والإسلام، فصحّ إطلاق السبب هنا، كما صحّ إطلاق النتيجة وإرادة السبب هناك، على ما تقرّر في علوم المعاني والبيان؛ ويدلّ على جعل هذه القوة تكويناً..

ما أخرجه الكليني عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذر؟!!. قال عليه السلام: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه؛ يعني في الميثاق»[١].

أقول: إسناده حسن صحيح حجّة؛ للإجماع على أنّ ابن أبي عمير لا يروي إلاّ عن ثقة، ناهيك عن كونه من أصحاب الإجماع على تصحيح ما يصحّ عنه.

وقوله عليه السلام: «جعل فيهم ما إذا سألهم» نص في الجعل التكويني للفطرة؛ وهذا هو مستند علماء العقيدة في تعريف الفطرة، أو علماء الحكمة فيما اصطلحوا عليه: العقل الفطري؛ لكونه مجعولاً بالجعل التكويني..

فلقد عرّفوا الفطرة - واللفظ لي-: هي القوّة - أو الملكة - التي أودعها الله تعالى في عباده تكويناً؛ لمعرفته، ومعرفة الخير والشر والحسن والقبيح.

---

(١) الكافي ٢: ١٢، رقم: ١. باب كيف أجابوا وهم ذر.

وسؤال أبي بصير: «كيف أجابوا وهم ذر» بضميمة جواب الإمام الصادق عليه السلام ، نص صريح في وجود عالم الذر حقيقة، وأنّ الخلائق يومذاك استنطقوا جميعاً فأجابوا برمتهم، حقيقة لا تقديراً (= مجازاً) كما افترض الشيخ المفيد (طيب الله رمسه الشريف).

المسألة الثالثة

ثبوت المعرفة والفطرة، ونسيان الموقف يوم الذر

موثق ابن فضال

أخرج البرقي عن أبيه، عن ابن فضال الحسن بن علي بن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾.

قال عليه السلام: «ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف، سيذكرونه يوماً ما، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه»(١).

أقول: إسناده موثّق بل كالصحيح. قوله عليه السلام: «نسوا الموقف» بضميمة الآية، نصّ في وجود موقف، قبل خلق الدنيا، وقف فيه العباد للإقرار؛ يشهد له..

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٤١، رقم: ٢٢٤. باب جوامع التوحيد.

صحيح ابن مسكان

قال علي بن براهيم القمي ﵁: وحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله ﵇: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ قلت: معاينة كان هذا؟!.

قال ﵇: «نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ورازقه، فمنهم من أقر بلسانه في الذر، ولم يؤمن بقلبه فقال الله: «فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل»»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح.

وثمة كلام في نسبة التفسير لعليّ بن إبراهيم ﵁ وأنّه ليس كلّه له!.

قلت: بلى، لكن لا ينبغي الكلام فيما أسنده عليّ بن إبراهيم القمّي (رضوان الله تعالى عليه) في التفسير بقوله: حدثني أبي. فهذا ثابت. يشهد لما نحن فيه..

(١) تفسير القمي ١: ٢٤٨. مؤسسة دار الكتاب، قم.

حسن ابن جوين العبدي عن الصادق عليه السلام

وقال السيد ابن طاووس في الإقبال: فصل فيما نذكره من عمل عيد الغدير السعيد، ممّا رويناه بصحيح الإسناد، فمن ذلك بالأسانيد المتصلة، ممّا ذكره ورواه محمد بن علي الطرازي في كتابه، عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقي، عن عمارة بن جوين أبي هارون العبدي..

ورويناه بإسنادنا - أيضاً - إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، فيما رواه عن عمارة بن جوين أبي هارون العبدي أيضا قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فوجدته صائماً فقال:

«إنّ هذا اليوم يوم عظم الله حرمته على المؤمنين، إذ أكمل الله لهم فيه الدين وتمّم عليهم النعمة، وجدد لهم ما أخذ عليهم من الميثاق والعهد في الخلق الأول، إذ أنساهم الله ذلك الموقف، ووفقهم للقبول منه، ولم يجعلهم من أهل الانكار الذين جحدوا ».

وقال عليه السلام: «إنّه يوم عيد وفرح وسرور وصوم؛ شكر الله عز وجل؛ فإنّ صومه يعدل ستين شهراً من الأشهر الحرم.... الحديث[1].

قلت: له أكثر من طريق، بعضها صحيح. وهو نص أنّ حديث الغدير تجديد للميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني آدم في الخلق الأول؛ أي الذر. وله شاهد من طرق أهل السنّة..

(١) الإقبال للسيد ابن طاووس (ت: جواد الفيومي)٢: ٢٧٧. مكتب الإعلام الإسلامي.

شاهد لحديث العبدي من طرق أهل السنّة

قال الجوزجاني الناصبي (٥٤٣هـ) في كتابه الأباطيل: أخبرنا أبو الفتح بن علي بن عبيد الله، أخبرنا أبو عطاء عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الجوهري، قال: حدثنا أبو معاذ الشاه عبد الرحمن بن محمد بن مأمون، قال: حدثنا أبو نصر حسنون بن موسى بن أيوب الجلالي، ببغداد، قال: حدثنا علي بن سعيد الرملي، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، عن النبي، قال: «من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم»، ثمّ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين»، فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال له عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1] قال: «ومن صام يوم سبع وعشرين من رجب، كتب له ستين شهراً هو أول يوم نزل جبريل على محمد برسالته».

قال الجوزجاني: هذا حديث باطل، لم يروه عن أبي هريرة إلاّ شهر بن حوشب، ولا عنه إلاّ مطر الوراق، قال أبو الحسين القارىء: سمعت عمر بن علي، يقول: لم أسمع يحيى بن سعيد، يحدث عن شهر بشيء قط، وقال معاذ بن معاذ: سألت ابن عون عن شهر بن حوشب؟!.فقال: منكر الحديث[2].اهـ.

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) الأباطيل والمناكير ٢: ٣٦٦، رقم: ٥١٤. دار الصميعي، الرياض، ت: الفريوائي.

أقول: وقد أخرجه ابن المغازلي (٤٨٣) قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن طاوان قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن الحسين ابن السماك قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، حدثنا علي بن سعيد بن قتيبة الرملي به مثله [١].

وقال الجرجاني (٤٩٩) في الأمالي الخميسية: حدثنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي، إملاء، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن سالم، قال: حدثنا علي بن سعيد الرقي. ح قال السيد: وحدثناه القاضي أبو القاسم، قال: وحدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبيد الزجاج الشاهد النبيل، قال: حدثنا أبو النصر حبشون بن أيوب الحلال، قال: حدثنا علي بن سعيد الشامي (الرملي) به مثله [٢].

كما قد أخرجه أبو طاهر السلفي (٥٧٦هـ) قال: أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن الهروي، بها، ثنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، ببغداد، نا علي بن سعيد الرملي به قريب منه[٣].

وأخرج الخطيب قال: أخبرنا عبد الله بن علي بن محمد بن بشران، قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ، قال: حدثنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال، قال: حدثنا علي بن سعيد الرملي به مثله.

قال الخطيب: اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون، وكان يقال: إنه تفرّد به، وقد تابعه عليه أحمد بن عبد الله بن النيري فرواه عن علي بن سعيد، أخبرنيه

---

(١) مناقب ابن المغازلي: ٤٦. رقم: ٢٤. دار الآثار صنعاء، ت: تركي الوادعي.

(٢) الأمالي الخميسية ١: ١٩٢، رقم: ٧١٦. الكتب العلمية، ت: محمد اسماعيل.

(٣) حكايات السلفي: ٣٦. على ترقيم الشاملة، والكتاب مخطوط.

الأزهري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النيري إملاء، قال: حدثنا علي بن سعيد الشامي (الرملي)، قال: حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطر، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، قال: وذكر مثل ما تقدم أو نحوه [(١)].

قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج به، ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء[(٢)]. قلت: أي حبشون فمن فوقه.

إسناد حديث أبي هريرة

أقول: إنّما أكثرنا من سرد الطرق إلى الرملي، حتى لا يأتي متنطع متناكد، يطعن في الإسناد إليه، فالطريق إليه لا شبهة فيه ولا كلام، وإنـمّا وقع الكلام فيمن بعده؛ أعني في مطر الوراق وشهر بن حوشب، وهما ثقتان أخرج لهما البخاري ومسلم وأصحاب السنن، ولا يسعنا البسط الآن.

وأمّا الرملي علي بن سعيد؛ فقد قال الذهبي: يتثبت في أمره كأنّه صدوق[(٣)]. وقال ابن حجر معلّقاً: وهو ابن أبي حملة الذي تقدم [(٤)]. اهـ. وفي ترجمة ابن أبي حملة نصّ ابن حجر قائلاً:

علي بن أبي حَمَلة، أَبُو نصر، وهو علي بن سعيد الرملي، شيخ ضمرة بن ربيعة. ما علمت به بأساً، ولا رأيت أحداً إلى الآن تكلم فيه، وهو صالح الأمر، ولم يخرج له

---

(١) تاريخ بغداد (ت: بشار) ٩: ٢٢١، رقم: ٤٣٤٥.

(٢) العلل المتناهية (ابن الجوزي) ١: ٢٢٣، رقم: ٣٥٦. العلوم الأثرية، باكستان، إرشاد الأثري.

(٣) المغني في الضعفاء ٢: ٤٤٨، رقم: ٤٢٧٠.

(٤) لسان الميزان (ابو غدة) ٥: ٥٤٤، رقم: ٥٣٨٥.

أحد من أصحاب الكتب الستة مع ثقته، انتهى، وإذا كان ثقة ولم يتكلم فيه أحد فكيف تَذكره (يخاطب الذهبي) في الضعفاء [1].انتهى كلام ابن حجر بحروفه.

قلت: الإسناد حسن في أقل التقادير، وإنّما سردناه لدفع تهمة تفرد الشيعة بنقل أمثال هذه الفضائل في أهل البيت، سيما المولى عليّ عليهم السلام.

(١) المغني في الضعفاء ٢: ٤٤٨، رقم: ٤٢٧٠.

المسألة الرابعة

ألقم الله الحجر الأسود الميثاق، قبل خلق الدنيا

صحيح معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام

حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق العباد، أمرَ الحجر فالتقمها؛ ولذلك يقال: أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته؛ لتشهد لي بالموافاة»[١].

قلت: إسناده صحيح. يبيّن مجملاته:

صحيح ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام

ومن طريق آخر أخرجه الصدوق قال: حدثنا أبي (رضي الله عنه)، قال: حدثني سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الأرواح جنوده مجنّده، فما تعارف منها في الميثاق ائتلف هيهنا، وما تناكر منها في الميثاق، اختلف هيهنا..؛ هو في هذا الحجر الأسود، أما والله إنّ له لعينين وأذنين وفماً ولساناً ذلقاً، ولقد كان أشد بياضاً من اللبن، ولكن المجرمين يستلمونه والمنافقين، فبلغ كمثل ما ترون»[٢].

---

(١) الكافي ٤: ١٨٤، رقم:١. باب الحجر وعلة استلامه.

(٢) روضة المتقين، للمجلسي الأول قدس سره ٤: ٦.

قال المجلسي في روضة المتقين: إسناده موثّق(١).

معتبرة حبيب الأزدي عن الصادق عليه السلام

أخرج الصدوق رضي الله عنه قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن الحسين بن أبي العلاء، عن حبيب (بن بشر الأزدي، حكى الذهبي السني عن الكشي قال: كان مستقيماً) قال: حدثني الثقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف..؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ...﴾ فمن أقرّ له سبحانه يومئذٍ جاءت الألفة هاهنا، ومن أنكره يومئذ جاء خلافه ها هنا»(٢).

أقول: إسناده قويّ معتبر، هناك من صححه.

وقوله: «قبل الميلاد» أي قبل خلق الأصلاب والأرحام؛ لتوقف صدق الميلاد على الأرحام كما هو أظهر من أن يخفى.

حديث جامع في الذر والميثاق والحجر الأسود

روى الكليني عن محمد بن يحيى وغيره، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن عمر (بن بزيع ثقة) عن ابن سنان (محمد الزاهري) عن أبي سعيد القماط (خالد بن سعيد ثقة)، عن بكير بن أعين (ثقة من الأجلاء الخواص) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأي علّة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه، ولم يوضع في غيره، ولأيّ

---

(١) علل الشرائع ٢: ٢٢٦. رقم: ٧.

(٢) علل الشرائع: ٨٥. باب العلة التي من أجلها صار بين الناس الائتلاف والاختلاف.

علّة تقبّل، ولأيّ علة أخرج من الجنة، ولأيّ علّة وضع ميثاق العباد والعهد فيه، ولم يوضع في غيره، وكيف السبب في ذلك تخبرني جعلني الله فداك؛ فإنّ تفكري فيه لعجب؟!!!.

فقال عليه السلام: «سألت وأعضلت في المسألة، واستقصيت، فافهم الجواب، وفرغ قلبك، وأصغ سمعك أخبرك إن شاء الله إن الله تبارك وتعالى..؛ وضع الحجر الأسود، وهي: جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق..

وذلك أنّه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم، ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام، فأول من يبايعه ذلك الطائر وهو والله جبرئيل عليه السلام، وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره، وهو الحجة والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان، والشاهد على من أدى إليه الميثاق، والعهد الذي أخذ الله عز وجل على العباد..

وأمّا القبلة والاستلام؛ فلعلة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق، وتجديداً للبيعة؛ ليؤدوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق..

فيأتوه في كلّ سنة ويؤدّوا إليه ذلك العهد والأمانة اللذين أخذا عليهم، ألا ترى أنّك تقول: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته؛ لتشهد لي بالموافاة، ووالله ما يؤدي ذلك أحدٌ غير شيعتنا، ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحدٌ غير شيعتنا، وإنّهم ليأتوه فيعرفهم ويصدقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذبهم؛ وذلك أنّه لم يحفظ ذلك غيركم، فلكم والله يشهد، وعليهم والله يشهد بالخفر والجحود والكفر، وهو الحجة البالغة من الله عليهم..

يوم القيامة، يجيء وله لسان ناطق، وعينان في صورته الأولى يعرفه الخلق ولا ينكره، يشهد لمن وافاه وجَدَّدَ العهد والميثاق عنده، بحفظ العهد والميثاق، وأداء الأمانة، ويشهد على كل من أنكر وجحد ونسي الميثاق، بالكفر والإنكار؛ فأمّا علّة ما أخرجه الله من الجنة فهل تدري ما كان الحجر»؟!.

قلت (الراوي بكير بن أعين): لا.

قال عليه السلام: «كان ملَكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أوّل من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق، وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنّة، يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كلّ سنة..

فلما عصى آدم وأُخرج من الجنة، أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد صلى الله عليه وآله ولوصيه عليه السلام وجعله تائهاً حيران..

فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة درة بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم عليه السلام، وهو بأرض الهند، فلما نظر إليه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة..

وأنطقه الله عز وجل، فقال له: يا آدم أتعرفني؟!. قال: لا. قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، ثمّ تحول إلى صورته التي كان مع آدم في الجنة، فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟!.

فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله، وجدد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حوله الله عز وجل إلى جوهرة الحجر، درة بيضاء صافية تضيء فحمله

آدم عليه السلام على عاتقه إجلالا له وتعظيماً، فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل عليه السلام، حتى وافى به مكة، فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلة..

ثمّ إنّ الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان؛ لأنّه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقم الملك الميثاق، ولذلك وضع في ذلك الركن، ونحّى آدم من مكان البيت إلى الصفا، وحواء إلى المروة، ووضع الحجر في ذلك الركن، فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن، كبّر الله وهلّله ومجدّه؛ فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا..

فإنّ الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة؛ لأن الله عز وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالوصية، اصطكّت فرائص الملائكة؛ فأول من أسرع إلى الإقرار، ذلك الملك، لم يكن فيهم أشد حباً لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله منه؛ ولذلك اختاره الله من بينهم، وألقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة، يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق»[1].

قلت: إسناده صحيح على الأظهر الأقوى، رجاله ثقات موثقون كلّهم، حتّى محمّد بن سنان الزاهري..؛ ففيه كلام مرجوح لا يضر.

والحديث نص ظاهر في عالم الذر والعهد والميثاق وأنّه قبل خلق الدنيا، وفي بعض فقراته نظر لا يحتمله مقامنا.

---

(١) الكافي ٤: ١٨٦، رقم:٣. باب الحجر وعلة استلامه.

صحيح حبيب، حديث جامع آخر

أخرج الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره، ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكلّ نبي، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ثم قال الله عز وجل لآدم: انظر ما ذا ترى؟!. قال: فنظر آدم عليه السلام إلى ذريته وهم ذر، قد ملئوا السماء قال آدم عليه السلام: يا رب ما أكثر ذريتي، ولأمر ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم!.

قال الله عز وجل: «يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي، ويتبعونهم». قال آدم عليه السلام: «يا رب، فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور»؟!. فقال الله عز وجل: «كذلك خلقتهم؛ لأبلوهم في كل حالاتهم». قال آدم عليه السلام: «يا رب، فتأذن لي في الكلام فأتكلم»؟!. قال الله عز وجل: «تكلّم فإنّ روحك من روحي، وطبيعتك خلاف كينونتي». قال آدم: «يا رب، فلو كنت خلقتهم على مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلة واحدة، وألوان واحدة، وأعمار واحدة، وأرزاق سواء، لم يبغ بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد، ولا تباغض، ولا اختلاف في شيء من الأشياء»؟!.

قال الله عز وجل: «يا آدم بروحي نطقت، وبضعف طبيعتك تكلّفت ما لا علم لك به، وأنا الخالق العالم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيئتي يمضي فيهم أمري، وإلى تدبيري وتقديري صائرون، لا تبديل لخلقي، إنّما خلقت الجن والإنس

ليعبدون، وخلقت الجنة، لمن أطاعني وعبدني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملاً في دار الدنيا، في حياتكم وقبل مماتكم، فلذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم، خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والأعمى والقصير والطويل والجميل والدميم والعالم والجاهل والغني والفقير والمطيع والعاصي والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة، ومن لا عاهة به فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة، فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح، فيدعوني ويسألني أن أعافيه، ويصبر على بلائي، فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته؛ فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء، وفيما أعافيهم، وفيما أبتليهم، وفيما أعطيهم، وفيما أمنعهم، وأنا الله الملك القادر، ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبرت، ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدم من ذلك ما أخرت، وأؤخر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعال لما أريد لا أسأل عمّا أفعل وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون»[١].

قال المجلسي في مرآة العقول: إسناده حسن[٢].

---

(١) الكافي٢: ١٠. باب آخر من أبواب طينة المؤمن والكافر.
(٢) مرآة العقول ٧: ٢٤.

قلت: وهو نصّ يحوي تصاريح تثبت أكثر مسائل عالم الذر، فاحفظه فإنّه من كنوز العلم والمعرفة، ونشير إلى أنّ أهل السنة رووا نحوه عن الصحابي الكبير أبي بن كعب (رضوان الله عليه)، وقد مضى في الفصل الأول من هذا الكتاب.

بعض مرويات أهل السنة في الحجر (عظّمه الله)

أخرج الإمام الفاكهي (٢٧٢هـ) قال: حدثنا محمد بن أبي عمر قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «لقد نزل الحجر وإنّه أشد بياضاً من الفضة، ولولا ما مسّه من أرجاس الجاهلية وأنجاسها، ما مسه ذو عاهة إلاّ برأ»(١).

قلت: إسناده صحيح.

وأخرج الإمام الفاكهي أيضاً قال: وحدثنا الزبير بن أبي بكر قال: حدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال: حدثني محمد بن عمران، عن جعفر بن محمد (إمامنا الصادق عليه السلام) قال: كنت مع أبي محمد بن علي (إمامنا الباقر عليه السلام) بمكة فقال له رجل: يا أبا جعفر ما بدء خلق هذا الركن؟!.

قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق الجنّة قال لبني آدم: ﴿ألست بربكم قالوا: بلى﴾ فأجرى نهراً أحلى من العسل، وألين من الزبد، ثمّ أمر القلم فاستمد من ذلك النهر، فكتب إقرارهم، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثمّ ألقم ذلك الكتاب هذا الحجر، فهذا الاستلام الذي ترى إنّما هو يشهد على إقرارهم بالذي كانوا أقروا به»

---

(١) أخبار مكة للفاكهي (ت: الدهيش) ١: ٨٥، رقم: ١٩. دار خضر بيروت.

قال جعفر (إمامنا الصادق عليه السلام): وكان أبي إذا استلم الركن قال: «اللهم أمانتي أديتها، وميثاقي وفيت به، ليشهد لي عندك بالوفاء»[1].

(١) أخبار مكة للفاكهي (ت: الدهيش) ١: ٨٥، رقم: ١٠. دار خضر بيروت.

المسألة الخامسة

لله تعالى الحجّة على العباد في الذر قبل الدنيا

صحيح رفاعة النخاس

أخرج البرقي عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن رفاعة بن موسى النخاس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾ قال عليه السلام: «نعم..؛ لله الحجّة على جميع خلقه؛ أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا قبض يده»[1].

أقول: إسناده صحيح، لا ريب.

والحديث ظاهر أنّ العباد كانوا مختارين يوم الذر، وإلاّ كانت الحجّة لغواً؛ ضرورة أنّ المجبور، لا يُحتجّ عليه في حال كونه مجبوراً مقهوراً؛ لعدم الصدق، ناهيك عن السّفه واللغويّة، وقوله: «أخذهم» أي على معرفته واتّباع رسله لما استخرجهم من ظهر آدم عليه السلام.

وهناك طرق أخرى مضت في المسائل المزبورة..؛ فراجع..

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٤٢، رقم: ١٢٨. باب جوامع التوحيد.

المسألة السادسة

الأرواح أقرت لله قبل الأجساد بألفي عام

صحيح بكير بن أعين رضي الله عنه

روى البرقي في المحاسن، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر - يوم أخذ الميثاق على الذر - والإقرار له بالربوبية، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، وعرض الله على محمد أمته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه وعرّفهم رسول الله وعرّفهم علياً ونحن نعرّفهم في لحن القول».

أخرجه الصفّار (رضوان الله عليه) في البصائر قال: حدثنا أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً، عن الحسن بن محبوب به مثله [١].

أقول: إسناده صحيح دون كلام، وقوله: «يوم أخذ الميثاق على الذر» أي كلّ الذر، مع التنبيه أنْ ليس مقدار العام يوم الذر في الحساب، كمقدار العام الأرضي، لاختلاف قوانين العالمين ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ يشهد له..

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٩. باب الأئمة يعرفون ما رأوا في الميثاق.

صحيح أو مصحّح الحسن بن محبوب رضي الله عنه

ما أخرجه الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مع أصحابه، فسلم عليه، ثمّ قال له: أنا والله أحبك وأتولاك!!.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كذبت».

قال الرجل: بلى والله إنّي أحبّك وأتولاك، فكرّرَ ثلاثاً.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كذبتَ، ما أنت كما قلت؛ إنّ اللهَ خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ عرض علينا المحب لنا؛ فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض، فأين كنت»؟!. فسكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه[(١)].

قلت: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات موثقون، ولا أقل من إجماع العصابة على تصحيح ما يصحّ عن الحسن رضي الله عنه.

قال علم الطائفة في وقته السيد علي الطباطبائي (رضوان الله عليه) ما حاصله أنّ: ضعف الراوي منجبر برواية الحسن بن محبوب عنه، لإجماع العصابة على تصحيح ما يصح عنه[(٢)]. وصالح بن سهل موثق، وما ورد في تليينه عن ابن الغضائري، ليس بشيء؛ لعدم ثبوت ذلك، كما جزم السيد الخوئي قدس سره وغيره، وهو الحق الحقيق بالاتباع.

وننبه أنّه قد اختلط على بعض الأعلام أنّ صالح بن سهل الذي يروي عنه ابن محبوب كما في الرواية أعلاه، هو عينه صالح بن محمد بن سهل الهمداني، وهذا سهو

---

(١) الكافي ٤: ١٨٦، رقم:٣. باب الحجر وعلة استلامه.

(٢) رياض المسائل ٩: ٤٥٩. جامعة المدرسين، قم.

منهم؛ فالذي يروي عنه ابن محبوب، من أصحاب إمامنا الصادق عليه السلام كما هو جليّ واضح، وأمّا صالح الهمداني فمن أصحاب إمامنا الجواد عليه السلام غيره.

وقوله عليه السلام: «خلق الأرواح قبل الأبدان...» نص صريح في وجود عالم الذر، وأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل عالم الدنيا والطين بألفي عام.

ولعمري أيّ تأويل لمنكري الذر يبقى، ليصمد أمام هذا النص الصحيح الفصيح الصريح..؟!!

المسألة السابعة

خلق الأشباح بعد الأرواح قبل خلق الدنيا

مضى الفرق بين الأرواح والأشباح والأجساد؛ كما قد بان أنّ الله تعالى استناداً إلى مجموع الأخبار المعتبرة، قد خلق الخلق في مبتدأ أمره أرواحاً؛ وهي النفوس العاقلة المجردّة عن الأبدان، ثمّ أشباحاً..، وكلُّ هذا قبل خلق الدنيا..

وننبه إلى أنّ هذا التقسيم لا يمكن استحصاله من دون استقصاء عام، وإلمام تام بمجموع ما ورد عن المطهرين الكرام عليهم السلام؛ فلا يسوغ الخوض في هذا خلال الحديث والحديثين؛ إذ لم تستطل البدع ويفشو الخبط إلاّ بهذا..

وقد مضى ما يدل على سبق خلق الأرواح على الأشباح، وأنه قبل خلق الدنيا؛ فمن ذلك ما سردناه آنفاً، عن الصفار بإسناد صحيح عن بكير بن أعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر - يوم أخذ الميثاق على الذر- والاقرار له بالربوبية، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، وعرض الله على محمد أمّته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام...».

فهذا النص صريح في خلق الأشباح بعد الأرواح؛ للنص: «في الطين وهم أظلّة» كما أنّه نص أنّ الأرواح مخلوقة قبل أبدانا بألفي عام..، يشهد له ما مضى في معتبرة حبيب الأزدي عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف»..

وهو نصٌ ظاهر في الأشباح والأبدان المثالية؛ فقوله عليه السلام: «وهم أظلّة» أي كالظلال وهو معنى الشبح. وقوله عليه السلام: «قبل الميلاد» أي قبل خلق الدنيا..، كما يشهد له..

معتبرة عبد الله بن سنان

ما رواه الكليني عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنّي لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش، فأغتمُّ لذلك غماً شديداً، وأرى من خالفنا حسن السمت؟!.

قال عليه السلام: لا تقل حسن السمت؛ فإنّ السمت سمت الطريق، ولكن قل حسن السيماء؛ فإنّ الله عز وجل يقول: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾، قال عبد الله بن سنان: قلت: فأراه حسن السيماء، وله وقار، فأغتم لذلك!!.

قال عليه السلام: «لا تغتم لما رأيت من نزق أصحابك، ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك؛ إنّ الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق آدم، خلق تلك الطينتين، ثمّ فرقهما فرقتين فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يسعى، وقال لأهل الشمال: كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يدرج، ثم رفع لهم ناراً فقال ادخلوها بإذني، فكان أول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله، ثم اتبعه أولو العزم من الرسل، وأوصياؤهم وأتباعهم، ثم قال لأصحاب الشمال: أدخلوها بإذني، فقالوا: ربنا خلقتنا لتحرقنا، فعصوا. فقال لأصحاب اليمين: أخرجوا بإذني من النار. لم تكلم النار منهم كلماً، ولم تؤثر فيهم أثراً، فلما رآهم أصحاب الشمال قالوا: ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا ومرنا بالدخول. قال: قد أقلتكم فادخلوها، فلما دنوا وأصابهم الوهج رجعوا فقالوا: يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق، فعصوا فأمرهم

بالدخول ثلاثاً، كل ذلك يعصون ويرجعون، وأمر أولئك ثلاثاً كل ذلك يطيعون ويخرجون. فقال لهم: كونوا طيناً بإذني فخلق منه آدم. قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم، فمما أصابهم من لطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن سيماء من خالفكم، ووقارهم فمما أصابهم من لطخ أصحاب اليمين»[1].

قلت: إسناده قويّ معتبر، بل ثمّة مبنى لبعض كبار علمائنا (رضوان الله عليهم) يصحح مثله، وهو المحقق الحلّي ﷺ فراجع.

وفي النص ظهور في خلق الأشباح قبل خلق الدنيا، وأنّ الأمر يوم الذر بدخول النار قد تعلق بالأشباح لا الأرواح المجردة، كما أنّ أخذ الميثاق من الناس وهم ذر، قد تعلق بأشباحهم، لا أرواحهم المجرّدة فقط...

ومجموع النصوص الماضية ناطقة بذلك..

(١) الكافي ٢: ٧. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

الذر هم الأشباح وليس الأرواح

روى الكليني رضي الله عنه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين، ثمّ قبض قبضة فعركها ثمّ فرقها فرقتين بيده ثم ذرأهم فإذا هم يدبون، ثمّ رفع لهم ناراً، فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا إليها فهابوها، فلم يدخلوها، ثمّ أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها، فأمر الله جل وعز النّار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا: ربنا أقلنا فأقالهم، ثمّ قال لهم: أدخلوها، فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء. قال: فيرون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من دخل تلك النّار؛ فذلك قوله عزّ وجل: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾»[1].

قلت: إسناده صحيح في أعلى درجات الصحة. وهو نص ظاهر أنّ الذر هم الأشباح لا الأرواح المجرّدة؛ لقوله عليه السلام: «ذرأهم فإذا هم يدبون»، سيما بضميمة قوله عليه السلام: «فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام»، فهو ظاهر أنّ البشر خلقوا أشباحاً؛ أي أظلةً من طين مثالي قبل خلق الدنيا، ثم امتحنهم بدخول النار، فتصنفوا وقتذاك باختيارهم إلى شقي وسعيد، ثمّ بعد ذلك خلق الله تعالى آدم خلقاً دنيوياً، يشهد له..

(١) الكافي ٢: ٧. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

صحيح الحسن بن محبوب رضي الله عنه

قال الطوسي: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني المظفر بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن موسى الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الزراري، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي يحيى زكريا الموصلي (من الأخيار له فضل ودين)، عن جابر (ثقة من الخواص)، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ: «أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ﴿ألست بربكم﴾ قالوا: بلى. قال: ومحمد رسولي؟!. قالوا: بلى. قال: وعلي بن أبي طالب وصيي؟!. فأبى الخلق جميعاً إلاّ استكباراً وعتواً من ولايتك إلاّ نفر قليل، وهم أقل القليل، وهم أصحاب اليمين»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح. ولعلّ بعض المبتدئين يتساءل عن وجه تصحيح الإسناد؟!!.

قلنا ما موجزه: إنّ طريق الشيخ الطوسي لكلّ مرويات ابن محبوب صحيح في الفهرست، ومَنْ بعد ابن محبوب ثقات ممدوحون، ناهيك عن كون ابن محبوب من أصحاب الإجماع؛ فالإسناد صحيح على الوجهين. ويناسب المقام أن نعرض..

(١) الأمالي، للطوسي: ٢٣٣. مؤسسة البعثة، قم.

تفسير: ﴿وَلَقَد خَلَقْنَاكُمْ ثمَّ صورناكم ثمَّ...﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَد خَلَقْنَاكُمْ ثمَّ صورناكم ثمَّ قُلْنَا للْمَلَائكَة اسجدوا لآدَم فسجدوا﴾ ظاهر فيما قلناه من أنّ الله تعالى خلق الأرواح المجرّدة المفطورة على التوحيد ومعرفة الخالق، ثمّ بعد ذلك صورها الله تعالى أشباحاً، حيث ركّب سبحانه عليها أبداناً مثاليّة، وكل هذا قبل أن يأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، بل قبل أن يخلق الله تعالى آدم خلقاً دنيوياً من طين، كما هو صريح مجموع الآية وصحيح الرواية بل الروايات..

حسبنا منها صحيحة الحلبي الماضية عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام، أرسل الماء على الطين، ثمّ قبض قبضة فعركها ثمّ فرقها فرقتين بيده ثمّ ذرأهم فإذا هم يدبون...، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام».

ويشتد العجب من قول بعض العلماء: إنّ في الآية تقديم وتأخير، وأنّ المقصود فقط هو: خلقناكم وصورناكم في بطون أمهاتكم. هذا ما قالوا، ولا ندري من أين جاؤوا بهذا التبرع، مع أنّ صراحة ظاهر الآية وصحيح الرواية في عكس ما قالوا تماماً..

وأعجب من هؤلاء، قول البعض أنّ من خلقهم وصورهم الله تعالى قبل السجود لآدم هم خلق ليسوا من البشر.

وقد ذهب بعضهم إلى أنّهم الجنّ؛ كذا قالوا من دون برهان، ولا حجة من سنة أو بيان..

المسألة الثامنة

امتحان الأشباح بدخول النّار في الذر

أوضحنا وأكثرنا القول خلال النصوص الصحيحة المتقدمة من طرق الفريقين، أنّ الله تعالى خلق الأرواح ففطرها على معرفته وتوحيده، ثمّ بعد ذلك بما لا يعلمه إلاّ هو سبحانه، خلق تعالت قدرته، أبداناً مثاليةً لتلكم الأرواح، ركّبها عليها، بل حبسها فيها لحكمة الابتلاء؛ لتضحى أشباحاً؛ إذ الشبح هو: القالب الجسماني المثالي للمجردات ذاتاً لا فعلاً.

والأشباح هي التي خاطبها الله تعالى يوم الذر بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ وليس مجرد الأرواح، وقد كان هذا قبل خلق الدنيا..؛ يدلّ عليه..

صحيح الحلبي عن الصادق عليه السلام

روى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين، ثمّ قبض قبضة فعركها، ثمّ فرقها فرقتين بيده، ثم ذرأهم فإذا هم يدبون، ثمّ رفع لهم ناراً، فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا إليها فهابوها، فلم يدخلوها، ثمّ أمر أهل اليمين أن يدخلوها، فذهبوا فدخلوها، فأمر الله جلّ وعزّ النّار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا: ربنا أقلنا فأقالهم ثمّ قال لهم: ادخلوها، فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام»[1].

(١) الكافي ٢: ٧. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

قلت: إسناده صحيح في أعلى درجات الصحة، رجاله أجلاء الفرقة، وعلماء الطائفة، وثقاة العصابة.

وهو نصّ أنّ أهل الذر، في الوقت الذي أخذ الله تعالى عليهم الميثاق، لم يكونوا أرواحاً مجرّدة وحسب كالملائكة، بل أشباح، أي أرواح في أبدان من طين، غاية الأمر أنّه طين مثالي، ليس عنصرياً كطين الدنيا..

أبدان الأشباح من طين مثالي

ومعنى كونه مثالياً: ليس خسيساً كثيفاً؛ أي لا يطرأ عليه الفناء والهلاك والفساد، كما هو حال طين الدنيا؛ فهو باق ببقاء الروح، ونشير إلى أنّ نعيم الإنسان أو عذابه في قبره بعد الموت، متعلّق بمجموع روحه وبدنه المثالي، وليس روحه فقط كما توهم بعض العلماء؛ أما العنصري الدنيوي، فهذا هالك متلاش لا يتعلق به النعيم ولا العذاب، بل لا يمكن هذا في عالم ما بعد الموت؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ والمقصود كلّ شيء في عالم الدنيا هالك متلاش..

لكن هل لأبدان أهل القبور المثالية في نعيم القبر وعذابه، علاقة بأجسادهم الدنيويّة التي أضحت رميماً، أو عدماً كما يقول الفلاسفة؟!!.

علاقة بدن الإنسان المثالي بجسده الدنيوي؟!

بينهما تمام العلاقة بكلّ تأكيد؛ فتفاوت أجساد بني آدم في هذه الدنيا خبثاً وطيباً، مترتب على خبث وطيب أبدانهم المثاليّة يوم الذر ترتّب المعلول على العلّة، والنتيجة على السبب، ولقد مضى في حسن حبيب السجستاني: «خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم» وقد كان هذا فيما اتّضح، في عالم الذر قبل خلق الدنيا.

بهذا يندفع توهم الجبر عند العوام في قولهم: لماذا خلقني الله تعالى بهذه الأوصاف وليس بتلك، ولماذا هذا البدن خبيث وذاك طيّب؟!. وغير ذلك ممّا يُعلم جوابه ممّا ألمحنا إليه.

وتلزم الإشارة إلى إنّ عذاب القبر ونعيمه متعلّق بالنفوس المصوّرة بأبدانها المثالية، لا الدنيويّة الفانية المعدومة؛ فالمعاد الجسماني يحصل ببدن المثال الذي لم يُعدم منذ يوم الذر حتى يوم الجنّة أو النار؛ غاية الأمر أنّه كان محبوساً في زنزانة الجسد الدنيوي الفاني، لكن هل تنقطع العلاقة بين بدن المثال وبين الجسد الدنيوي الفاني بعد موت الإنسان؟!.

وبعبارة أخرى: هل سيتحرر بدن المثال عن الدنيوي عند الموت تماماً؟!.

فيه بسط لا يحتمله المقام.

وننبّه - تأكيداً - أنّ المقصود ببدن المثال هو الذي لا يطرأ عليه الفساد والعدم؛ كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ وليس هذا هو حال أجساد الدنيا؛ فلا تتوهمنّ ما لا يجوز!!.

مثال للطين المثالي وأبدان المثال!!

لا يسعنا التفصيل في هذا، لكن حسبنا أجساد الأنبياء والصديقين عليهم السلام؛ فإنّ أبدانهم في عالم الذر وفي هذه الدنيا هي هي وإن اختلف الظرف.

وقد تسالم علماء الفريقين سنّة وشيعة من أنّ الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ لعظيم حرمتهم على الله تعالى..، وتخريجه ما قلناه من كون أجسادهم المقدسة مثاليّة حتى لو تضمنت بعض الخصائص الدنيويّة لمسانخة واقع الدنيا بسبب التكليف..

ومن الأمثلة الواضحة لما كان مثالياً لا يفنى ولا يفسد، ماء الحياة الذي شرب منه الخضر (صلوات الله عليه)؛ فبه - فيما روي - بقي حياً آلاف السنين إلى ما شاء الله، والأمر هو الأمر في بعض ما على الأرض كالحجر الأسود عظمه الله...

ومن الأمثلة - أيضاً - ما تواتر من طرق الفريقين أنّ الله تعالى كرّم جعفر الطيار (صلوات الله عليه) بجناحين يطير بهما مع الملائكة، فكل هذا خلق مثالي لا يفنى ولا يفسد، ولا تنهض قوانين الدنيا لتفسيره..

ولا بأس بالإشارة إلى أنّ الملائكة وإن كانت أرواحاً مجردة عن قوالب البدن والجسد، لكنّها في عالم التدبير ذات أبدان مثالية مسانخة لهذا العالم التدبيري..؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[1].

---

(١) سورة هود: ٦٩-٧٠.

وهو نص صريح في تمثلهم بأبدان مثاليّة، وهناك نصوص أخرى..

صحيح زرارة رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام

روى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة أنّ رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله جل وعز: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم قالوا بلى﴾ فقال وأبوه يسمع (عليهما السلام) حدثني أبي عليه السلام قال:

«إنّ الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام، فصبّ عليها الماء العذب الفرات، ثمّ تركها أربعين صباحاً، ثمّ صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النّار، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها»[(١)].

أقول: إسناده حسن صحيح دون أدنى كلام.

وقوله عليه السلام: «فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذر» صريحٌ في أنّ أهل الذر أشباح، أي قوالب جسمانيّة للأرواح (النفوس الناطقة)، وهذه القوالب هي التي يطلق عليها أبدان مثاليّة، وقد اتضح أنّها مخلوقة من طين مثالي..

---

(١) الكافي ٣: ٨٤، رقم: ٢. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

صحيح آخر لزرارة عن الصادق عليه السلام

روى الكليني عن أبي علي الأشعري (أحمد بن إدريس القمي، ثقة جليل القدر) ومحمد بن يحيى (العطار ثقة جليل القدر)، عن محمد بن إسماعيل (بن بزيع، ثقة جليل القدر)، عن عليّ بن الحكم (بن الزبير، ثقة جليل القدر، من أصحاب الجواد) عن أبان بن عثمان (الأحمر ثقة جليل القدر) عن زرارة (ثقة عظيم المقام لا يسأل عن مثله) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان..؛ إنّ الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماء عذباً، أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثمّ أمرهما فامتزجا؛ فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن، ثمّ أخذ طيناً من أديم الأرض فعرّكه عركاً شديداً فإذا هم كالذر يدبون، فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب الشمال إلى النار ولا أبالي، ثمّ أمر ناراً فأسعرت فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها فهابوها، فقال لأصحاب اليمين ادخلوها فدخلوها فقال: كوني برداً وسلاماً، فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال يا رب أَقِلْنا؟!!. فقال سبحانه: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء من هؤلاء»[1].

أقول: إسناده صحيح دون كلام..

مع التنبيه أنّ قوله عليه السلام: «فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء...» لا ينافي انقلاب حال بعض الأشقياء إلى سعداء؛ لجواز أن يجفّ القلم - عن علم الله تعالى - على هذا، دون العكس.

---

(١) الكافي ٣: ٨٤، رقم: ١. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

وقد أشرنا إلى هذا في الفصل الأول، وسيأتي البسط في رسالة البداء لنا إذا أذن الله تعالى.

ثبوت الطاعة والمعصية في عالم الذر

روى الكليني في الكافي، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن داود العجلي، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى حين خلق الخلق، خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعرّكه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون: إلى الجنّة بسلام. وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أبالي. ثم قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ ثمّ أخذ الميثاق على النبيين فقال: ﴿ألست بربكم﴾ وأنّ هذا محمد رسولي وأنّ هذا علي أمير المؤمنين ﴿قالوا بلى﴾ فثبتت لهم النبوة. وأخذ الميثاق على أولي العزم أنّني ربكم ومحمد رسولي، وعلي أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده ولاة أمري، وخزان علمي عليهم السلام، وأنّ المهدي أنتصر به لديني، وأظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرهاً. قالوا: أقررنا يا رب وشهدنا، ولم يجحد آدم ولم يقر، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به..؛ وهو قوله عز وجل: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ قال: إنّما هو فترك، ثمّ أمر ناراً فأججت فقال لأصحاب الشمال: أدخلوها، فهابوها. وقال لأصحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها، فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا. فقال: قد أقلتكم، اذهبوا فادخلوا، فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية»[(١)].

قال التقي المجلسي في روضة المتقين: حسن كالصحيح.

---

(١) الكافي ٢: ٨. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

قلت: إسناده قويّ معتبر، رجاله ثقات سوى داود العجلي، فلم يوثقه أحد، لكن ثمة قرائن تفيد كونه إمامياً ممدوحاً غير مطعون فيه. لكنّها على المشهور، لا تنهض لإدراج حديثه في قسم الحسن فضلاً عن الصحيح، ولعلّ التقي المجلسي (رضوان الله عليه) وقف على ما لم نقف عليه من قرائن القوة..؛ ربما على مبنى تعديل من كان إمامياً، روى عنه الأجلاء، ولم يرد فيه طعن، وهو مبنى حسن التزمه بعض كبار علماء الطائفة (رضوان الله عليهم)؛ فافهم.

المسألة التاسعة

علّة احتياج أرواح البشر إلى أبدان

قال الصدوق ﵀: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رضي الله عنه) (جليل القدر، ترضى عنه الصدوق، وهو أعلى من التوثيق كما جزم جماعة)، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي (محمد بن جعفر الأسدي، ثقة)، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي(ثقة)، قال: حدثنا جعفر بن سليمان بن أيوب الخزاز (ثمة تصحيف) قال: حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي (ثقة)، قال: قلت لأبي عبد الله ﵇: لأي علة جعل الله تبارك وتعالى الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محلّ؟!.

فقال الصادق ﵇: «إنّ الله تبارك وتعالى علمَ أنّ الأرواح في شرفها وعلوها، متى تركت على حالها، نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدرها لها في ابتداء التقدير؛ نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض[١]، وعلّق بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث إليهم رسله، واتخذ عليهم حججه مبشرين منذرين، يأمرونهم بتعاطي العبودية، والتواضع لمعبودهم، بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل، وعقوبات في الآجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل؛ ليرغبهم بذلك في الخير، ويزهدهم في الشر، وليذلّهم بطلب المعاش

---

(١) أي الأرواح إلى أبدان.

والمكاسب؛ فيعلموا بذلك أنّهم مربوبون، وعباد مخلوقون، ويقبلوا على عبادته، فيستحقوا بذلك نعيم الأبد، وجنة الخلد، ويأمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحق ».

ثم قال عليه السلام: «يا ابن الفضل إنّ الله تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترى أنّك لا ترى فيهم إلاّ محباً للعلو على غيره، حتى أنّ منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية، ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها، ومنهم من قد نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقها، مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر، والآلام المتناوبة عليهم، والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم، يا ابن الفضل إنّ الله تبارك وتعالى لا يفعل لعباده إلاّ الأصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً ولكن النّاس أنفسهم يظلمون»[١].

قال المجلسي: وفي القوي كالصحيح عن ابن الفضل وساق الحديث أعلاه[٢].

قلت: إسناده حسن صحيح على الأقوى، وثمّة أمران في الإسناد أعلاه:

الأول: الدقاق شيخ الصدوق عظيم المنزلة؛ فلقد ترضّى عنه الصدوق، والترضي فيما جزم طائفة من كبار علمائنا (رضوان الله عليهم) أعظم درجة من التوثيق، وليس ببعيد.

الثاني: يحتمل وقوع تصحيف في الإسناد؛ فلقد ورد أعلاه: جعفر بن سليمان بن أيوب الخزاز - لكن في نسخة أخرى من كتاب التوحيد-: جعفر بن سليمان (مردد بين ثقتين)، عن أبي أيوب الخزاز (إبراهيم بن عثمان بن زياد، ثقة) والمقام لا يسمح

---

(١) التوحيد للصدوق (ت: هاشم الطهراني): ٤٠٣. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

(٢) روضة المتقين ١٣: ٢٣.

بالتفصيل، لكن على كلا التقديرين فالمجال وسيع لتصحيح الإسناد، أو اعتباره لا أقل..

وتجدر الإشارة إلى..

هل للمخلوقات كالشمس والجبال، نفوس؟!!!.

قلت: مضى ما رواه الكليني عن بكير بن أعين قال سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام : «ما كان الحجر الأسود»؟!.

قال عليه السلام :«كان ملَكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أوّل من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق....

قلت: إسناده صحيح على ما استظهرناه واستقويناه، وهناك غيره. والالتقام تشبيه واستعارة..؛ معناه فيما قال أهل الحكمة والمعرفة: انطباع العلم اللدني في ذات الحجر المقدّسة؛ تكويناً بالجعل الإلهي؛ كالعقل الفطري في ذات الإنسان؛ وبعبارة موجزة: كعروض الفصل على الجنس عروضاً ذاتيّاً؛ محققاً للنوع محصلاً له..

فللحجر عظّمه الله تعالى، روح، وهي ذات سماويّة مجرّدة عالمة، ونفس قدسيّة معظّمة، قضى الله تعالى أن يجعلها في هذا الحجر المقّدس، على منوال جعل الأنفس البشريّة العاقلة في بدن من لحم ودم وعظم، وعلى منوال جعل ذات الشمس والقمر في بدن متوهج، وهكذا على ما قضى الله وقدّر.

وفي المقابل: لم يجعل سبحانه لذوات الملائكة أبداناً؛ فالملائكة: هي الذوات العالمة علماً لدنيّاً بالجعل التكويني، نزه الله ذواتها عن البدن، لكنّها – كلاً أوبعضاً – مقتدرة بإذن الله على التمثل به ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ وغير ذلك من الآيات الصريحة.

لهذا لم يستبعد غير واحد من أهل الحكمة وغيرهم، أنّ مثل الشمس والقمر والحجر والجبال والأنهار...، هي إمّا ذوات ملائكيّة، أو نفوس قدسيّة أمرت بطاعة

الله بهذا النحو من القضاء..؛ ممّا استدلوا به لهذا، قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

وتقريبه: استحالة مخاطبة السماوات والأرضين من دون افتراض أنّها ذاوت عالمة عاقلة، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ والكلام هو الكلام في قوله سبحانه وتعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وممّا استدلوا به لذلك أيضاً ما تواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في طرق الفريقين: «أسكن أحد» لما ارتجف جبل أحد تحته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، ومن ذلك حنين الجذع وتسبيح الحصى بين يديه المقدستين وغير ذلك ممّا هو معلوم ضرورة من معاجزه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه.

وهذا – على الإنصاف – هو الحقّ الذي يعسر افتراض غيره، والله يفعل في ملكه ما يشاء وهو العزيز الحكيم، ذو الفضل العظيم. والبسط في هذا طويل، لا يسعه ضيق ما نحن فيه.

المسألة العاشرة

كان أهلُ البيت عليهم السلام أشباحَ نورٍ قبل خلق الخلق

لا بدّ من التنبيه على أنّ أشباح بني آدم (صلوات الله عليه) في الذر، بل قبله، على قسمين:

القسم الأوّل: أشباح الطين، وهي أبدان بني آدم المثالية قبل خلق الدنيا، وهي من طين، وقد مضت الصحاح الكثيرة في هذا؛ كصحيح الحلبي عن إمامنا الصادق عليه السلام: «فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام» فتذكّر!!.

القسم الثاني: أشباح النور، وهي أبدان أهل البيت عليهم السلام، قبل خلق الخلق، وهي ليست من طين، بل هي ظلّ نور الله تعالى.

وقد أجمع أصحابنا قدس سرهم أنّ أشباح أهل البيت المقدّسة موجودة قبل خلق آدم عليه السلام، قبل خلق الخلق، لا أعلم في ذلك خلافاً..

فحتّى الشيخ المفيد رضي الله عنه المنكر لعالم الذر، سلّم وجود أشباحهم المعظّمة قبل خلق الخلق، لكنّه ذكر أنّها مجرّد أشباح غير متصفة بالحياة؛ أي هي مجرد أبدان نوريّة لهيئاتهم المقدسّة دون روح أو حياة، وإنّما خلق أرواحهم المقدّسة بعد خلق آدم عليه السلام، ويردّه صريح الأخبار الصحيحة المسندة عنهم عليهم السلام في هذا..؛ من قبيل:

صحيح جابر الجعفي رضي الله عنه

روى الكليني عن الحسين، عن محمد بن عبد الله، عن محمد بن سنان، عن المفضل، عن جابر بن يزيد قال قال لي أبوجعفر عليه السلام: «يا جابر إنّ الله أوّل ما خلق، خلق محمداً صلى الله عليه وآله، وعترته الهداة المهتدين؛ فكانوا أشباحَ نورٍ بين يدي الله». قلت وما الأشباح؟!.

قال عليه السلام: «ظلّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل، ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون»[١].

قلت: إسناده صحيح على الأظهر الأقوى، رجاله موثقون بل ثقات. ولم ينفرد محمد والمفضل؛ فلقد توبعا كما سيتبيّن..

---

(١) الكافي ١: ٤٤٢. رقم: ١٠. باب مولد النبي.

الحديث نصٌّ في خلق أرواحهم عليهم السلام قبل آدم عليه السلام

لعلّ بعض البسطاء يغترّ فيعجل بأنّ قول الباقر عليه السلام: « أبدان نورانية بلا أرواح » ينفي وجود أرواحهم عليهم السلام قبل خلق آدم عليه السلام !! وهو خطأ شنيع؛ إذ تتمّة قول الباقر عليه السلام: « وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته»..

وهو نصّ أنّ ذوات أهل البيت عليهم السلام، كانت أرواحاً قدسيّة في أبدان من نور، تعبد الله تعالى، قبل خلق الخلق، والمقصود بقوله عليه السلام: «أبدان نورانية بلا أرواح» الأرواح الحيوانية الدنيويّة..؛ كروح الشهوة، وروح الغضب وغيرهما، وسنبين هذا آخر المسألة..، وعجب كيف يفوت شيخنا المفيد (رضوان الله عليه) هذا، مع أنّ النص أثبت لهم عليهم السلام روح القدس بكلّ صراحة، لكن لا عصمة إلاّ لأهلها..

والروح القدس، روحٌ مجرّدة أفاض الله عليها من لدنه علماً، فيها تعظيم الخالق تعالى أولاً، وتدبير أمره في الخلق ثانياً، ولا مجال للبسط.

صحيح أبي حمزة الثمالي رضي الله عنه

أخرجه الكليني، عن محمد بن يحيى (العطار ثقة)، عن محمد بن أحمد (بن يحيى الأشعري، ثقة)، عن محمد بن الحسين (بن أبي الخطاب ثقة جليل)، عن أبي سعيد العصفوري (عباد، موثق بالتوثيق العام لا أقل)، عن عمرو بن ثابت (بن أبي المقدام، ثقة بالتوثيق العام لا أقل)، عن أبي حمزة الثمالي (رضوان الله عليه) قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إنّ الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده، من نور

عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله»[١].

قلت: إسناده جيّد، وهناك ما يلزم تحقيقه في حال العصفري أو العصفوري، لم أر من تعرض له، خلاصته أنّ الرجل، ثقة من الأجلاء؛ لا يسعه مختصرنا، فليرجأ لمقام آخر.

معتبر المفضّل

روى الكليني عن عليّ بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن علي بن إبراهيم، عن علي بن حمّاد، عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟!.

فقال عليه السلام: «يا مفضل، كنّا عند ربنا ليس عنده أحدٌ غيرنا، في ظلة خضراء، نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده، وما من ملك مقرّب، ولا ذي روح غيرنا، حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهى علم ذلك إلينا»[٢].

قلت: الحديث صحيح بغيره، وهذا الإسناد معتبر؛ لعدم التفرد.

صحيح الحسن بن محبوب رضي الله عنه

مضى ما رواه الطوسي رضي الله عنه في الأمالي: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني المظفر بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن موسى الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الزراري، عن أبيه، عن

---

(١) الكافي ١: ٤٤٢. باب مولد النبي.

(٢) الكافي ١: ٤٤٢. رقم: ٧. باب مولد النبي.

الحسن بن محبوب، عن أبي يحيى زكريا الموصلي (من الأخيار له فضل ودين)، عن جابر (ثقة من الخواص)، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ: «أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ﴿ألست بربكم﴾ قال: بلى. قال: ومحمد رسولي؟!. قالوا: بلى. قال: وعلي بن أبي طالب وصيي؟!. فأبى الخلق جميعاً إلاّ استكباراً وعتواً من ولايتك إلاّ نفر قليل، وهم أقل القليل، وهم أصحاب اليمين»[1].

قلت: إسناده حسن صحيح، وقد مضى بيان وجه التصحيح.

قوي الثمالي عن الباقر عليه السلام

روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن مولانا أبي جعفر الباقر في حديث قتادة قال عليه السلام: «ويحك يا قتادة إنّ الله جل وعز خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه »[2].

قال التقي المجلسي في الروضة: قويّ كالصحيح[3].

قلت: رجاله ثقات، لكن لم أتيقن من هو محمد بن عليّ، وأكبر الظن عندي، هو القمي، وهو ممدوح مدحاً معتداً به لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن، وإلاّ فالإسناد ضعيف، لكن على كلا التقديرين، فالمتن معتبر بما تقدم ولو إجمالاً.

---

(١) الأمالي للطوسي: ٢٣٣. مؤسسة البعثة، قم.
(٢) الكافي٦: ٢٥٦. رقم:١. باب ما ينتفع من الميتة.
(٣) روضة المتقين ٧: ٤٧٦. مطبعة العلمية، قم.

زيارة الجامعة بإسناد صحيح.. ؛ فيها ذكر أشباحهم عليهم السلام

أخرج الصدوق رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رضي الله عنه)، ومحمد بن أحمد السناني، وعلي بن عبد الوراق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي وأبو الحسين الأسدي قالوا: حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم؟!.

فقال الهادي عليه السلام: «إذا صرت إلى الباب، فقف واشهد الشهادتين، وأنت على غسل، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثمّ امشِ قليلاً وعليك السكينة والوقار، وقاربْ بين خطاك، ثمّ قف وكبّر الله عز وجل ثلاثين مرة، ثمّ ادن من القبر وكبر الله أربعين مرة، تمام مائة تكبيرة ثم قل:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، ....أَشْهَدُ اَنَّ هذا سابِقٌ لَكُمْ فيما مَضى، وَجارٍ لَكُمْ فيما بَقِيَ، وَأَنَّ أَرْواحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْض، خَلَقَكُمُ اللهُ أَنْواراً فَجَعَلَكُمْ بعَرْشِهِ مُحْدِقينَ حَتّى مَنَّ عَلَيْنا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فى بُيُوت أَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ....إلى آخر الزيارة الشريفة[1].

قلت: إسناده حسن صحيح، رجاله ثقات دون كلام. وموسى بن عمران النخعي ثقة، وثّقه عليّ بن إبراهيم، روى عنه الأجلاء دون طعن.

---

(١) عيون أخبار الرضا (ت: حسين الأعلمي) ٢: ٣٠٥. الأعلمي، بيروت.

ولا بدّ من التنبيه على أنّه ورد في بعض المصادر: موسى بن عبد الله النخعي، وهو – بشهادة الراوي والمروي عنه والطبقة – تصحيف موسى بن عمران النخعي؛ إذ لا وجود لابن عبد الله في كتب الرجال، إلاّ فيما نحن فيه من احتمال التصحيف.

وإن أبيت فهما طريقان، ناهيك عن الانجبار بعمل الطائفة جيلاً بعد جيل، كأنّها من الضروريّات، بل هي كذلك..

ولو تناسينا كلّ هذا، فثمّة قرينة قاطعة على صحّة الصدور؛ وهي استحالة صدورها عن غير المعصوم عليهم السلام.

جزم الشيخ المفيد بصحّة حديث أشباح النور

قال المفيد جازماً: قال علي بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا عباد الله، إنّ آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه، إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال: يا رب في ما هذه الأنوار؟!. قال الله عز وجل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح.

فقال آدم: يا رب لو بينتها لي؟!.

فقال الله عز وجل: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم، ووقع (رفع ن خ) نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا. فقال يا رب ما هذه الأشباح؟!. قال الله تعالى: «يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبرياتي، هذا محمد وأنا المحمود الحميد في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي. وهذا علي، وأنا العلي العظيم، شققت له اسماً من اسمي. وهذه، فاطمة وأنا، فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعتريهم ويشينهم شققت لها اسما من اسمي. وهذان الحسن والحسين وأنا المحسن المجمل، شققت أسميهما من أسمى..؛ هؤلاء خيار خليقتي، وكرام بريتي، بهم آخذ وبهم أعطي، وبهم أعاقب، وبهم أثيب، فتوسّلْ إليّ بهم. يا آدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك، فإني آليت على نفسي قسماً حقاً أن لا أخيب بهم آملاً، ولا أرد بهم سائلاً»[1].

(١) المسائل العكبريّة (ت: علي أكبر إلهي): ٢٨. دار المفيد، بيروت.

قلت: إسناده صحيح، لجزم الشيخ المفيد، بل قد صرح بالصحة في مسائله السرويّة – كما سيأتي قريباً – وأنّها قد جاءت عن طريق الثقات..

المفيد ﷺ صحّح الإسناد وأنكر خلق أرواحهم عليهم السلام

قال الشيخ المفيد في المسائل السرويّة: والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات: «بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه: أنّها أشباح رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) وأعلمه أن لولا الأشباح التي رآها ما خلقه، ولا خلق سماءً ولا أرضاً».

والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أن دلّه على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلاّ بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً محياة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنّها كانت صوراً على مثل صورهم في البشرية، تدل على ما يكونون عليه في المستقبل من الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم، وضياء الحق بحججهم.

وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل، وناجاه بقبول توبته، سأله بحقهم عليه، ومحلهم عنده فأجابه.

قال المفيد: وهذا غير منكر في العقول، ولا مضاد للشرع المعقول، وقد رواه الصالحون الثقات المأمونون، وسلم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره، والله ولي التوفيق(١).

الردّ على الشيخ المفيد رحمه الله !!.

حقيقة يشتد العجب من إنكار شيخ مشايخنا، المفيد (طيّب الله رمسه الشريف)، وجود أرواح الأئمة عليهم السلام، قبل خلق الدنيا، في قوله الآنف: ولم يكونوا عليهم السلام في تلك الحال صوراً محياة، ولا أرواحاً ناطقة.

قلت: هو يقول هذا قدس سره: مع صراحة النص: أنّ محمداً وآل محمد (صلوات الله عليهم)، كانوا مؤيدين بروح القدس، يعبدون الله قبل خلق آدم عليه السلام !!.

---

(١) المسائل السرويّة (ت: صائب عبد الحميد): ٤٠. دار المفيد للطباعة.

معنى التأييد بروح القدس؟!!!.

يستدعي بيان ذلك بعض الإشارة اللازمة..

وللتوضيح: فحينما يقول المناطقة في تعريف الإنسان بأنّه: حيوان ناطق، فمقصودهم بأنّه حيوان ذو نفس ناطقة. وهذا في الجملة ينطبق على أهل البيت وبقية أهل العصمة بعد خلق الدنيا، لكن هل ينطبق هذا التعريف على أهل البيت قبل الخلق، بالنظر لكونهم أشباحاً من نور؟!.

قلنا بكلّ تأكيد: كلاّ؛ ضرورة عدم وجود جنس الحيوانيّة قبل خلق الخلق، فلم يبق إلاّ كونهم أنواراً مؤيدين بروح القدس، وليس معنى التأييد بروح القدس، انضمام روح القدس لأشباحهم النوريّة بحيث يمكن الفصل بينهما، بل هو اتحاد بينهما؛ كاتحاد الناطقيّة مع الحيوانيّة في الإنسان؛ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

الزبدة: روح القدس، ذاتٌ اتحدت مع أشباح النور، كاتحاد الجنس مع الفصل في الأنواع..؛ نظير اتحاد الناطقيّة مع الحيوانيّة في الإنسان..

وبإيجاز:

حدّ الإنسان بعد خلق الدنيا: حيوان + ناطق.

حدّ المعصوم: حيوان + ناطق + ذو روح قدسيّة.

أمّا قبل خلق الدنيا في عالم الذر..

فحد الإنسان: شبح طين + عاقل ناطق فطرياً.

وحدّ أهل البيت: شبح نورٍ + ذو روح قدسيّة.

ومستند ما ذكرناه مجموع النصوص الآنفة، يضاف إليه..

ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام، وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس، فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون »[1].

قلت: إسناده صحيح، والأخبار في هذا كثيرة لا يسعها مقامنا.

وقوله عليه السلام: « جعل فيهم... روح القدس» نصّ فيما قلناه من أنّه داخل في ماهيّة المعصوم كدخول الناطقية في الإنسان.

(١) الكافي ١: ٢٧٢. باب الارواح التي في الائمة عليهم السلام.

المسألة الحادية عشرة

النبي صلى الله عليه وآله أول من أقرّ يوم الذرّ

صحيح الحلبي عن الصادق عليه السلام

مضى ما رواه الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إنّ الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين، ثمّ قبض قبضة فعركها، ثمّ فرقها فرقتين بيده، ثم ذرأهم فإذا هم يدبّون، ثمّ رفع لهم ناراً، فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا إليها فهابوها، فلم يدخلوها، ثمّ أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها، فأمر الله جل وعز النّار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلما رأى ذلك أهل الشمال قالوا: ربنا أقلنا فأقالهم ثمّ قال لهم: ادخلوها، فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم عليه السلام».

وقال أبو عبد الله عليه السلام: فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء. قال: فيرون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من دخل تلك النّار؛ فذلك قوله عزّ وجل: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾[1].

قلت: بيّنا إسناده صحيح في أعلى درجات الصحة، رجاله أجلاء الفرقة، وعلماء الطائفة، وثقاة العصابة؛ يشهد له..

---

(١) الكافي ٢: ٧. باب زيادة وقوع التكليف الأول.

صحيح داود الرقي

ما أخرجه الكليني في الكافي قال: حدثنا محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي..

وأخرجه الصدوق في التوحيد قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا جذعان بن نصر أبو نصر الكندي، قال: حدثني سهل بن زياد الآدمي به..

وقد تابعه الصدوق في العلل قال: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالرحمن بن كثير، عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أراد الله عز وجل لأن يخلق الخلق، خلقهم ونشرهم بين يديه ثمّ قال لهم من ربكم؟!.

فأوّل من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة (صلوات عليهم أجمعين) فقالوا: «أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسئولون. ثمّ قيل لبني آدم أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا: نعم ربنا، أقررنا. فقال الله جل جلاله للملائكة: اشهدوا. فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أو يقولوا ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يا داود، الأنبياء مؤكدة عليهم في الميثاق[1].

---

(١) الكافي ١: ٩٥، رقم: ٧. باب العرش والكرسي. توحيد الصدوق: ٣١٩، رقم: ١. باب معنى استوى على العرش. علل الشرائع: ١١٨، رقم: ٢. باب علة المعرفة والجحود.

أقول: صحيح، وإسناد الكليني صحيح على الأرجح من وثاقة سهل، وهو لم ينفرد فلقد تابعه - فيما انبلج - أحمد بن محمد في طريق علل الصدوق؛ فالحديث بإسناديه صحيح دون أدنى كلام. سيما مع ما يشهد له..

صحيح أو مصحح الحسن بن محبوب

أخرجه الكليني (رضوان الله عليه) - أيضاً -، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟!.

قال صلى الله عليه وآله: «إنّي كنت أول من آمن بربي، وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله»[1].

أقول: إسناده حسن صحيح على الأظهر الأقوى..؛ رجاله ثقات سوى صالح بن سهل، روى له ابن قولويه وعلي بن إبراهيم، وهما - في أصول كتابيهما - لا يرويان إلاّ عن شيعي ثقة، كما قد رواه عنه أعلاه الحسن بن محبوب، وقد أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه. يشهد له عدا ذلك..

ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن إسماعيل، عن محمد بن إسماعيل، عن سعدان بن مسلم (ثقة على الأظهر، وثقه القمي) عن صالح بن سهل (الهمداني ثقة على الأظهر) عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت ولد آدم؟!.

(١) الكافي ١: ٤٤١. باب مولد النبي.

قـالﷺ: «إنّي أوّل مـن أقـرّ بـربي؛ إنّ الله أخـذ ميثـاق النبيـين وأشـهدهم عـلى أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. فكنت أول من أجاب».

قلت: صحيح، وهذا الإسناد قويّ معتبر.

وقد مضى ما رواه أهل السنة في هذا بأسانيد جياد..

المسألة الثانية عشرة

فضل الشيعة في عالمي الذر والحساب

أخرج الصفّار قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن عبد الله بن جبلة، عن معاوية بن عمار، عن جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « يا عليّ لقد مثلت لي أمّتي في الطين حتى رأيت صغيرهم وكبيرهم، أرواحاً قبل أن يخلق الأجساد، وإنّي مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم». فقال علي: «يا نبي الله زدني فيهم»!!!.

قال النبي: «نعم يا عليّ، تخرج أنت وشيعتك من قبورهم ووجوهكم كالقمر ليلة البدر، وقد فرجت عنكم الشدائد، وذهبت عنكم الأحزان، تستظلون تحت العرش، يخاف الناس ولا تخافون ويحزن الناس ولا تحزنون، وتوضع لكم مائدة والناس في الحساب»[1].

أقول: إسناده صحيح، دون أدنى كلام. وقوله صلى الله عليه وآله: «في الطين» أي في يوم الطين، وهو يوم الذر، قبل خلق الأجساد الدنيويّة.

وأخرج أيضاً قال: حدثنا أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي: «إنّ الله مثل لي أمتي في الطين، وعلمني أسمائهم كلّها كما علم آدم الاسماء كلّها، فمرّ بي أصحاب الرايات، فاستغفرت لعلي وشيعته..؛ إنّ ربي وعدني في شيعة عليّ

(١) بصائر الدرجات: ١٠٧، رقم: ٥. باب في رسول الله صلى الله عليه وآله.

خصلة». قيل يا رسول الله وماهي؟!!. قال: «المغفرة منهم لمن آمن واتقى، لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة ولهم تبدل السيئات حسنات»[١].

أقول: إسناده موثّق، بابن فضّال. وأخرجه من طريق آخر، قال: حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن ابن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله[٢].

أقول: إسناده صحيح. والأخبار متواترة معنىً، لا يسعها المقام.

وظاهر قوله صلى الله عليه وآله: «ولهم تبدل السيئات حسنات» اختصاص الشيعة دون سواهم، بنعمة محو الشقاوة إلى السعادة؛ فتدبّر.

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر، يوم أخذ الميثاق على الذر بالإقرار له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، وعرض الله جل وعز على محمد صلى الله عليه وآله أمته في الطين وهم أظلة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه، وعرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفهم علياً، ونحن نعرفهم في لحن القول»[٣].

قلت: مضى أنّ إسناده صحيح، أخرجه البرقي والصفار.

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٧، رقم: ١. باب في رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٢) بصائر الدرجات: ١٠٧، رقم: ١١. باب في رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٣) الكافي ١: ٤٣٧، رقم: ٩. باب نتف الرواية في الولاية.

خاتمة في تداخل العوالم

إشكال أخذ الميثاق بعرفة، والأرض لم تخلق بعد؟!!!.

المقصود بقوله ﷺ: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم، بنعمان، يعني بعرفة» مع أنّ الدنيا لم تخلق بعد: ما يداخل ذلك من المكان في العالم غير الفاني، فلعرفة، الكعبة، قبر النبي، كربلاء، البيت المعمور، الحجر الأسود...، وجود حقيقي مقدّس قبل خلق التراب العنصري الفاني؛ نظير وجود الروح قبل البدن في الإنسان..، فلقد صحّ دون شبهة أنّ الحجر الأسود (قدسه الله تعالى) قد أنزل من الجنّة، وهكذا قبر النبي الذي هو - كما ثبت في الصحيح -: «روضة من رياض الجنّة»...، والكلّ، في الفرضين، خلق ماديّ، لكن تتفاوت قوانين كلّ منهما بحسب العالم التي هي فيه؛ فقوانين ماديّة قبر النبي في عالم الذر والجنّة، غيرها في الدنيا، وهي غيرهما في البرزخ، وهي غير الثلاثة يوم القيامة، وهكذا كلّ ما خلق الله تعالى، والبسط يخرجنا عن المقصود، لكن حسبنا هذا المثال..

تداخل العوالم، معناه وأمثلته في الشرع

أخرج البخاري قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه: أنّ رسول الله قال: «ما بين بيتي أو قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[1].

وأخرجه الكليني قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار قال:

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٦١، رقم: ١١٩٥. باب فضل ما بين القبر والمنبر. دار طوق النجاة.

قال أبوعبد الله عليه السلام: «إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فائت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنّه يقال إنّه شفاء العين، وقم عنده، فاحمد الله وأثن عليه، وسل حاجتك؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة»[1].

أقول: الحديث بلفظه، صحيح بإجماع الأمّة، سبيله سبيل مقطوعات الصدور.

وتقريب الاستدلال به: أنّ الزائر لا يجد في قبر النبي عليه السلام إلاّ الحصى والتراب المقدسين؛ مع القطع بأنّه روضة من رياض الجنّة، ومع القطع - أيضاً - أنّ الجنّة مخلوقة قبل خلق التراب والأصلاب والأرحام، فكيف يكون هذا؟!!.

لا مناص إلاّ القول بتداخل العوالم، عالم الجنّة المخلوق يوم الذر، وعالم الدنيا الفاني، ولا أقل من التداخل فيما كان من قبيل مسجد النبي، كوفان، كربلاء، وادي السلام، نهر الفرات و..، (عظّمها الله جميعاً).

وممّا يدلّ على التداخل قطعاً بين عالمي التراب والبرزخ - عند أهل القبلة سنّة وشيعة - ما تواتر أنّ النبي صلى الله عليه وآله، وهو في الدنيا كان يرى ويسمع صراخ معذبي البرزخ في قبورهم؛ ومنه سماعه عذاب جبابرة قريش (لعنهم الله) بعيد بدر عند القليب، هذا مع أنّ العالمين - عالم الدنيا وعالم البرزخ - مختلفان.

وحاصله: أنّ عالم التراب الذي نحن فيه الآن متداخل مع عالم الذر والجنّة، كما أنّه متداخل مع عالم البرزخ، غاية الأمر انحجاب هذه العوالم عنّا..؛ ليست بمنكشفة تماماً إلاّ لأهلها عليهم السلام..

(١) الكافي ٤: ٥٥٣، رقم: ١. باب المنبر والروضة.

وليس بعد المعراج الشريف من مثال لتداخل العوالم الثلاثة، الجنة والتراب والبرزخ؛ فلقد رأى النبي فيه، عذاب أهل العذاب ونعيم أهل النعيم، كما قد رأى الأنبياء والرسل وكلّمهم عليهم السلام، سيما آدم ونوح وموسى وعيسى وإبراهيم، بل قد ورد في صحاح الفريقين أنّ النبي صلى الله عليه وآله رأى الحمزة وجعفر الطيار عليهما السلام يتنعمان في الجنّة على الحقيقة[1]؛ هذا وهو صلى الله عليه وآله في الدنيا، بل قد ثبت متواتراً أنّه صلّى ليلة الإسراء بالأنبياء عليهم السلام في الأقصى، مع أنّهم في عالم آخر، أشرف من عالم التراب الفاني هذا.

والقبر من أجلى الأمثلة على تداخل العوالم؛ فالعوام يظنون أنّ القبر الترابي الذي يودع فيه الميت، هو الذي تحصل فيه ضغطة القبر، وهو ما يأتيه منكر ونكير (صلوات الله عليهما)، وهوما تنفتح إليه باب من الجنة أو النّار...، وهذا جهل مطبق وخطأ مستبشع؛ ضرورة أنّ قوانين عالم التراب، قوانيننا، غير جارية على الإنسان في عالم البرزخ، لا في الابتداء ولا في الوسط ولا في الانتهاء، بل يستحيل جريانها.

وقد تقول: فما فائدة زيارة القبور، وتلاوة القرآن عندها ووو، إذا كانت ليس هي؟!!

قلنا: بل هي هي باعتبار التداخل، وليست هي باعتبار التغاير..؛ فالحقيقة البرزخيّة للقبر، منطوية متداخلة مع القبر الترابي الذي نزوره؛ بالضبط كتداخل الحقيقة الجنّتيّة مع الهيئة الترابيّة لقبر النبي المقدّس وكربلاء والكوفة ووادي السلام وقبور أهل العصمة عليهم السلام و... غاية الأمر أنّ هذه الحقيقة، محجوبة عنّا؛ لافتراق قوانين العالمين، نظيره الإنسان؛ فحقيقته ليست بدنه، مع أنّنا لا نرى منه إلاّ بدنه

---

(١) لا يدخل أحد الجنّة أو النار قبل الحساب، لكن تواتر أن من محض الإيمان محضاً من المؤمنين، تفتح له باب من الجنة إلى قبره، أوسع مما بين السماوات والأرضين، وكذا من محض الكفر محضاً.

الفاني؛ بخلاف المعصوم؛ فهو يراهما كليهما؛ لهيمنته على قوانين العالمين فيما قضى الله تعالى؛ يدل عليه علاوة على ما مضى..

ما أخرجه الكليني والشيخ- في الكافي والتهذيب، وغيرهما في غيرهما - بأكثر من طريق- صحيحة أو حسنة بمجموعها - عن عليّ والصادق (عليهما السلام)، واللفظ لبعضها: قال عليّ عليه السلام للأصبغ بن نباتة وهما في جبّانة النجف: «يا ابن نباته لو كشف لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذه (وادي السلام= النجف) حلقاً حلقاً يتزاورون ويتحدثون، إنّ في هذا الظهر روح كلّ مؤمن، وبوادي برهوت روح كلّ كافر»[1].

وقد روى أهل السنّة، واللفظ لعبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام قال: «شر بئر في الناس بلهوت، وهي بئر في برهوت تجتمع فيه أرواح الكفار»[2].

أقول: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وتقريب الاستدلال أنّنا إذا ذهبنا إلى وادي سلام النجف أو برهوت التي في اليمن، لا نجد شيئاً من الأرواح عياناً، مع القطع بوجودها حقيقة؛ فيتعيّن الحمل على تداخل عالمي البرزخ والتراب؛ أو عالمي الجنّة والتراب كما في قبر النبي وكربلاء وبيت الله الحرام، و....

والزبدة: فلعرفة، وهكذا قبر النبي، كربلاء، الحجر الأسعد...، حقيقة قدسيّة جنّتيّة، موجودة في عالم الذر أو قبله، فيها أخذ الميثاق من بني آدم. وهي متداخلة بقدرة الله مع عالمنا الترابي، فاحفظ.

(١) انظر الوافي للفيض الكاشاني ٢٥: ٦٣٢. ففيه مجموع الطرق التي يجزم معها بثبوت الخبر.
(٢) مصنف عبد الرزاق (ت: حبيب الأعظمي) ٥: ١١٥، رقم: ٩١١٨. المجلس العلمي الهند.

على أنّ إيفاءه حقّه لا يتحصّل بهذا الإيجاز، ففيه ملابسات كثيرة، يلزمها بسط طويل، لا يسعها هذا المختصر..؛ حسبنا..

ما أخرجه الطبري قال: حدثني يونس(بن عبد الأعلى، ثقة م)، قال: أخبرنا ابن وهب (إمام ثقة خ م) قال، قال جرير بن حازم (ثقة خ م)، حدثني حميد بن قيس (الأعرج ثقة خ م)، عن مجاهد قال: «كان موضع البيت على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض، مثل الزبْدة البيضاء، ومن تحته دحيت الأرض»[1].

أقول: مرسل إسناده صحيح على شرط مسلم، يشهد له..

أخرج أبو الشيخ الأصفهاني قال: حدثنا أبو يعلى، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا يعقوب، حدثنا حفص، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دحيت الأرض تحت البيت» [2].

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات قد توبعوا..

أخرج الطبري قال: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي به مثله أو قريب منه[3].

أقول: صحيح، وهذا الإسناد حسن؛ محمد بن حميد الرازي، وثّق وضعّف.

---

(١) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)٣: ٦٠، رقم: ٢٠٤٤ الرسالة، بيروت.

(٢) العظمة (ت: رضاء إدريس) ٤: ١٣٨١. دار العاصمة، الرياض.

(٣) تفسير الطبري (ت: أحمد محمد شاكر)٣: ٦٠، رقم: ٢٠٤٦ الرسالة، بيروت.

أين بقيّة أهل الذر الآن؟!!!

اتّضح أنّ الله سبحانه وتعالى، بناء على رأي مشهور الفريقين سنّة وشيعة، قد خلق البشر أجمعين في يوم الذر قبل خلق السماوات والأرضين بكذا ألف سنة، على ما مر في أخبار الفريقين الصحيحة..

لكن بقي سؤال: فهؤلاء الذين لم ينزلوا إلى الدنيا، أي لم ينزلوا من أصلاب الآباء وينعقدوا عنصرياً في الأرحام، أين هم الآن؟!!

قلنا: ما زالوا في عالم الذر بناءً ما أطلقنا عليه تداخل العوالم، ونظيرهم أهل الدنيا، فبعضهم اللاحق الحيّ، هو الآن في الدنيا، والسابق الميّت في البرزخ، ولنا في تداخل العوالم رسالة بسطت في هذا، نسأل الله تعالى إتمامها إنّه سميع مجيب..

لكن ثمّة سؤال: ما الذي حدّد السابق من أهل الذر لينزل إلى الدنيا قبل غيره، واللاحق الذي لم ينزل بعد؛ إذ على أيّ معيار قضى- الله تعالى بهذا، بمعنى ما ينزهه سبحانه عن الظلم والجبريّة؟!!!

مجمل جوابه اتّضح من أخبار الامتحان الذرّي المعتبرة التي رواها الفريقان؛ فلقد امتحن الله تعالى الخلائق يوم الذر بدخول النار؛ فهناك جرّائه تفاوتت درجات النّاس ومقاماتهم، وحتى أبداهم، وأزمان نزولهم، وأنسابهم أصلاباً وأرحاماً، خبثاً وطيباً ..

هذا ما سمح به الحال، من موجز المقال، مجرّداً عـن البسـط في قيلـه والقـال، وإلاّ فإيفاء حقّ هذا الموضوع الجليل، تتقاصر عنه الوريقات الماضية، ولا تنهض به الأيام القلائـل التـي طويناهـا في تحريـره، ولـولا أنّ بعـض أهـل الفضـل الصـالحين نـووا صلاحاً، وقصـدوا بـرّاً، وتعجّلـوا خـيراً، لكـان لنـا شـأن آخـر في التـدقيق والتحقيـق والاستقصاء، مع ما نحن عليه من ضعف وقصور..

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين.

فهرست المحتويات